الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة * د. الطاهر مولاي* سعيدة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم: العلوم الإجتماعية شعبة: الفلسفـــة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة
بعنوان:

إشكالية التأويل في الفكر السياسي الإسلامي "الشيرازي نموذجا"

من إعداد الطالبة:
❖ حليمي نعيمة
تحت إشـــراف:
الأستاذ شريف الدين بن دوبة

السنة الجامعية
2015/2014

كلمة شكر

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم،

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله

القائل: " إنما بعثت معلّما "

نتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ الفاضل " بن دوبة شريف الدين "

الذي كان له الفضل والإسهام في إنجاز هذا البحث.

سدّد الله خطاكم ووفقكم إلى المزيد من النجاح.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى والديّ الكريمين رعاهما الله وبارك في عمرهما

أمي "سلامت" وأبتي "بن ديدة"

" رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

إلى سندي في الحياة خالتي حليمة.

الفهرس

	الـــــمـــــوضـــــــوعات	**الصفحة**
كلمة شكر	.....	
اهداء	.....	
مقدمة	.....	أ
الفصل الأول	التأويل مفهوم وتاريخ	04
المبحث الأول	مفهوم التأويل ، التفسير ، الاجتهاد	06
المبحث الثاني	السياسة والتأويل	17
الفصل الثاني	الإسلام والتأويل	21
المبحث الأول	مدرسة السنة والجماعة والتأويل	23
المبحث الثاني	مدرسة أهل البيت (الشيعة والتأويل).....	35
الفصل الثالث	الشيرازي وتأصيل التأويل	52
المبحث الأول	الشيرازي والتأويل	54
المبحث الثاني	الفكر السياسي الإمامي المعاصر في التأويل	63
الخاتمة	.....	69
قائمة المصادر والمراجع	.....	
فهرس الموضوعات		

مقدمة:

يحتـل موضـوع التأويـل موضـع الصـدارة والاهتمـام فـي الفكـر الإسـلامي والغـرض منـه هـو اسـتنباط الأحكـام، تجـاوز الفهـم الجـاهز ورفـع الإشـكالات المتوهمـة والتعمـق فـي الكشـف عـن معـاني الـنص وأسـراره، لكنه اتخذ دلالات سلبية أدت إلى الجدل والصراع.

إن جـذور الاخـتلاف الفكـري والعقـدي بـين المسـلمين بـدأ عنـد أخـذهم بالتأويـل، فظهـر صـراع التأويـل بـين الجماعـات الإسـلامية بعـد وفـاة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، فكـان أول خـلاف وقـع بيـنهم حـول قضـية تعيـين الإمـام أو الخليفـة مـن بعـده ممـا نـتج عنـه جـدال حـاد أدى إلـى انقسامهم فرقا وشيعا.

وظلّـت كـل فرقـة تتحـرى الحقيقـة فـي كـلام الله فقـاموا يفسّـرونه ويؤوّلونـه ليضـفوا علـى مقـولاتهم الصـواب، ولـم يتوقـف الصـراع حـول هـذه القضـية عنـد حـد الجـدل الفكـري بـل احتـدم بيـنهم الصـراع حتـى قيـل إن سـيوف المسـلمين لـم تسـل فـي قضـية مـن القضـايا كمـا سـلّت وجـرّدت فـي صراعهم على الإمامة والحكم وخلافهم حول أصوله.

وتمثّـل السـنة والشـيعة أهـم الفـرق التـي اهتمـت بـالفكر السياسـي مستندة إلـى التأويـل الـديني، وكـان موقـف أهـل السـنة مـن التأويـل يتمثـل فـي أنـه إذا وافـق الكتـاب والسـنة قبلـوه، وإذا خـالف رفضـوه أي يتركـون التأويـل الـذي يـؤدي إلـى تحريـف النصـوص أو تعطيلهـا تحـت ذريعـة الظـاهر والبـاطن، أمـا الشـيعة عمـدت إلـى تأويـل نصـوص القـرآن تحـت قاعدة لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل.

ومـن بـين فلاسـفة الشـيعة الـذين كانـت لهـم اسـهامات فـي مجـال التأويـل " صـدر الـدين الشـيرازي"، حيـث يـرى أن الـنص لـه ظـاهر وبـاطن مسـتندا إلـى التـراث الشـيعي الإمـامي فـي تأويـل الـنص ليتفـق ومبادئها كالقول بالإمامة على وجه الخصوص.

ويعـود سـبب اختيـار البحـث مـن منطلـق نظرتنـا إلـى الصـراع القـائم بـين الفـرق والمـذاهب الإسـلامية والـذي يرجـع بالأسـاس إلـى الاخـتلاف فـي التأويـل وقـد شـهد القـرن الرابـع هجـري نمـو الفكـر الشـيعي كمـا شـهد قمـة العـداء بـين السـنة والشـيعة بسـبب التعـارض حـول مشـكلة التأويـل، كـان هـذا سـببا فـي اختيـار إشـكالية التأويـل فـي الفكـر السياسـي الإسـلامي وبالخصـوص عنـد فـرق الشـيعة ومـن هنـا كـان اختيـار الشـيرازي نموذجـا لكونه من فلاسفة الشيعة الذين اهتموا بمسألة التأويل.

وعليـه خصصـنا فـي هـذا البحـث الحـديث عـن "إشـكالية التأويـل فـي الفكر السياسي الإسلامي، الشيرازي نموذجا".

وقـد قسّـمنا البحـث إلـى ثلاثـة فصـول، بـدأنا فـي الفصـل الأول بتحديـد الإطـار المفـاهيمي للتأويـل، ثـم التفسـير والاجتهـاد مـع ذكـر أنواعهمـا، كمـا تطرقنا إلى علاقة التأويل بالسياسة.

أمـا الفصـل الثـاني عالجنـا مسـألة التأويـل عنـد كـل مـن مدرسـة السـنة والجماعـة وعنـد مدرسـة أهـل البيـت (الشـيعة)، كمـا تحـدثنا عـن الفـرق المنقسمة عن الشيعة.

الفصـل الثالـث خصصـناه للحـديث عـن التأويـل عنـد الشـيرازي، ثـم عرضنا للنشاط السياسي لدى الشيعة بعد عصر الغيبة.

وأخيرا ختمنا البحث بما أمكننا استنتاجه.

إذا كانـت المواضـيع التـي عالجـت التأويـل فـي الفكـر الإسـلامي بصـفة عامـة كثيـرة، فـإن التـي اختصـت منهـا بالتأويـل فـي الفكـر السياسـي عنـد الشـيرازي غيـر موجـودة، وهـذا مـا جعلنـي أجتهـد فـي معرفـة نظرتـه التأويليـة مـن خـلال كتابيـه " شـرح أصـول الكـافي " و " تفسـير القـرآن الكـريم، سـورة يـس "، ومـا نأملـه مـن هـذا البحـث أن يوضّـح للقـارئ جوانب هامة من التأويل في الفكر السياسي الإسلامي.

تمهيد:

وجـدت كلمــة التأويـل فــي عصــر الإســلام رواجــا أكثــر مــن أي عصـر سـابق كمـا أنهـا اكتسـبت شـكلا اصـطلاحيا فـي عهـده، وقـد شـكل العصــر الوسـيط فــي الحضــارة الإسـلامية نمـو النزعــة التأويليــة حيـث ظهـرت تيـارات عديـدة تهـتم بالتأويـل والتفسـير معـا، والتأويـل أدخلـه الفلاسـفة والمتكلمـين ثـم اسـتخدمه علمـاء الأصـول والفقـه وأدخـل فـي كتب اللغة المتأخرة، وقد نشأ محاولة لفهم النص الديني.

وتعـد قضـية التأويـل مـن أهـم القضـايا التـي طرحـت فـي تـاريخ الفكــر الإســلامي قــديما وحــديثا، فهــذه القضــية شــكلت عــاملا رئيســيا للاخــتلاف أو الخــلاف الفكــري والعقــدي عنــد المســلمين وهــذا يرجــع إلــى طبيعــة الــنص القرآنــي الــذي يشــتمل آيــات تتفــاوت فــي وضــوحها وغموضــها وفهــم المــراد منهــا، لكــن تبقــى عمليــة التأويــل توضــيح وتبيين النص القرآني دون جزم أو قطع بمراد الله عز وجل.

وقــد تراجــع التأويــل واكتســب دلالات ســلبية نتيجــة تطــور الأوضــاع السياســية وظهــور مــذاهب وفــرق تبحــث عــن مشــروعيتها السياسية من خلال تأويل النص الديني تأويلا يتلائم مع طموحاتها.

1- التأويل:

لغـــة: مـــن آل، يـــؤول وأول الكـــلام تـــأويلا وتأولـــه دبّـــره وقـــدّره وفسّره

والمـراد بالتأويـل نقـل ظـاهر اللفـظ عـن وضـعه الأصـلي إلـى مـا يحتاج دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ

وللتأويل معان متباينة:

فـي القـرن الرابـع هجـري التأويـل، فـي أصـله الاشـتقاقي، يـدور حـول معنـى الرجـوع والعـود. يقـول الأزهـري (ت 370 ه) أن الأول هو الرجوع.

(تهذيب اللغة)

فـي القـرن السـابع هجـري التأويـل يعنـي التفسـير، فالتأويـل هـو التفسير والتدبر وحسن تقدير الأمور1

يقـول الجرجـاني: " التأويـل فـي الشـرع صـرف اللفـظ عـن معنـاه الظـاهر إلـى معنـى يحتملـه إذا كـان المحتمـل الـذي يـراه موافقـا للكتـاب والسنة "

عنـد ابـن رشـد: " التأويـل إخـراج دلالـة اللفـظ مـن الدلالـة الحقيقيـة إلى الدلالة المجازية من غير أن يخلّ في ذلك بعادة لسان العرب "

(فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال)

عنـد الشـيعة التأويـل والتنزيـل متلازمـان. التنزيـل هـو ألفـاظ الـوحي كمـا أملاهـا جبريـل والتأويـل هـو العـودة إلـى الأصـل إلـى المعنى الحقيقي.

وعنـد ابـن تيميـة " التأويـل الكلـم عـن مواضـعه كمـا ذمـه الله تعـالى في كتابه وهو إزالة اللفظ عما دلّ عليه من المعنى "(2)

ورد مصـطلح التأويـل فـي القـرآن الكـريم سـبعة عشـرة مـرة ولا نجد التأويل إلا في سياق باطن خفي كقوله تعالى:

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار مكتبة الهلال، بيروت، ص193

(2)- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ،د.ط، 2007، دار قباء الحديثة القاهرة، ص158. 160

" وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث" (يوسف/6)
" ولما يأتهم تأويله " (يونس/39)
" سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا " (الكهف/78)
" وما يعلم تأويله إلا الله " (آل عمران/7)
" هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله " (الأعراف/ 53)
" ذلك خير وأحسن تأويلا " (النساء/ 59)

وقد كان لبعض الأحاديث النبوية الشريفة دور في لفت الأنظار إلى الخطاب القرآني من جهة احتماله لعدة وجوه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن، وقال: القرآن ذلول ذو وجوه محتملة فاحملوه على أحسن وجوهه"[1]

ومن هنا شاع لفظ التأويل في كتابات رجال العقائد والمتصوفة لأن تفسيرهم للنصوص يكون في معظم الأحوال مبنيا على ما يعتقدونه من نظريات وأفكار يحاولون دائما جعل النص يسير في ركابها.

والأسباب الداعية للتأويل ناتجة من اختلاف في التفسير، فهناك التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير الفقهي وتفسير اتجه أصحابه اتجاهات سنية وشيعية وصوفية واعتزالية وعلمية ولغوية وبلاغية الخ...[2]

ويمكن القول أن معنى التأويل في النص القرآني يبقى معنى محتمل أي يهدف إلى بيان الوجه المحتمل أو القريب لآية معينة أو حديث من السنة والقائل بالتأويل لا يقول إن ما ذكره هذا دون سواه بل يسوقه على أنه أحد الاحتمالات ووجها من الوجوه.

([1])- د عواطف الكنوش المصطفى التميمي، المعنى والتأويل في النص القرآني، ط: الأولى،2010، دار الصفاء عمان، ، ص16. 17.

([2])- نفس المرجع، ص78.

ومـــن الثابـــت تأريخيـــا أن مصـــطلح التأويـــل كـــان هـــو المصـــطلح الســـائد والمســـتخدم دون حساســـية للدلالـــة علـــى شـــرح وتفســـير القـــرآن الكـــريم، لكـــن تراجـــع مصـــطلح التأويـــل واكتســـب دلالات ســـلبية نتيجـــة تطـــور الأوضـــاع السياســـية لتأويـــل الـــنص الـــديني تـــأويلا يـــتلائم مـــع طموحاتهـــا " وقـــد درج العلمـــاء المســـلمون منـــذ القـــرن الرابـــع هجـــري – باســـتثناء الشـــيعة وبعـــض المتصـــوفة – علـــى تفضـــيل مصـــطلح التفســـير علـــى مصـــطلح التأويـــل فصـــار شـــائعا أن التأويـــل جنـــوح عـــن المقاصـــد والـــدلالات الموضـــوعية فـــي القـــرآن ودخـــول فـــي إثبـــات عقائـــد وأفكـــار – أو بـــــالأحرى ضـــــلالات – مـــــن خـــــلال تحريـــــف مقصـــــود لـــــدلالات المفردات والتراكيب القرآنية ومعانيها " [1]

ومـــن التأويـــل مـــا هـــو صـــحيح وفاســـد، لـــذلك فـــإن التأويـــل الصـــحيح عنـــد ابـــن القـــيم هـــو الـــذي يوافـــق مـــا دلـــت عليـــه النصـــوص ومـــا جـــاءت بـــه السنة وغير الفاسد.

وتفاديـــا لمزالـــق التأويـــل اشـــترط الأصـــوليون فـــي عمليـــة التأويـــل شروطا منها:

وجـــود مســـتند يقـــوي التوجـــه إلـــى التأويـــل ولا يكفـــي احتمـــال التأويـــل، وأن يكـــون اللفـــظ ظـــاهرا فيمـــا صـــرف عنـــه محـــتملا لمـــا صـــرف إليه

أن يكون اللفظ قابلا للتأويل فلا يكون مفسرا ولا محكما

أن يكون قابلا للمعنى المؤول إليه

أن يكـــون القـــائم بعمليـــة التأويـــل أهـــلا للقيـــام بهـــذه العمليـــة التـــي هـــي نوع من أنواع الاجتهاد في نطاق النص

أن يكـــون التأويـــل مبنيـــا علـــى دليـــل صـــحيح يـــدل علـــى صـــرف اللفـــظ عـــن ظـــاهره إلـــى معنـــاه الـــذي أول إليـــه، فـــإن تعـــددت الاحتمـــالات وجـــب المصير إلى الترجيح.

[1]- نسرين الأحمد، ندوة فكرية "اشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا"، ص

2-التفسير:

التفسـير فـي اللغةتوضـيح النصـوص المقدسـة والغامضـة وفـي المعنـى الحـديث تفسـير الـدلالات والمعـاني التـي تعـرض بواسـطة دالات مكثفة معقدة وفي هذا المعنى تقترب من مفهوم التأويل[1]

ويعرفـه الجرجـاني بأنـه: " فـي الأصـل هـو الكشـف والإظهـار وفـي الشـرع توضـيح معنـى الآيـة وشـأنها وقصـتها والسـبب الـذي نزلت فيه بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرية "[2]

وفـي الاصـطلاح: يعرفـه الزركشـي بأنـه " علـم نـزول الآيـة وسـورتها وأقاصيصـها والإشـارات النازلـة فيهـا، ثـم ترتيـب مكيهـا ومـدنيها ومحكمهـا ومتشـابهها، وناسـخها ومنسـوخها، وخاصـها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها"[3]

أنواع التفسير:

اتجـه العلمـاء والمفسـرون فـي تفسـير القـرآن اتجاهـات متباينـة أشهرها اتجاهان هما " التفسير بالمأثور " و " التفسير بالرأي ".

التفسير بالمأثور:

ويسـمى التفسـير بالنقـل ويهـدف إلـى " بيـان معنـى الـنص عـن طريـق تجميـع الأدلـة التاريخيـة واللغويـة التـي تسـاعد علـى فهـم الـنص فهمـا موضـوعيا " ويتحـرى هـذا التفسـير الخبـر المسـند إلـى الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وكـذلك التفاسـير المسـندة إلـى الصـحابة والتـابعين بالسـند، مثـل تفسـير سـفيان بـن عيينـة، ووكيـع بـن الجـراح، وعبـد الـرزاق وغيـرهم، ولـم تصـل إلينـا هـذه التفاسـير وإنمـا وصـل إلينـا مـاثلا هذه الطبقة وأشهرهم ابن جرير الطبري

---

[1]-يوسف الصديق، المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، د.ط،1976، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، ص 107.

[2]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 203.

لكـن التفسـير بالمـأثور رغـم مزايـاه إلا أنــه معـرض للنقـد الشـديد لأن الصـحيح مـن الروايـات اخـتلط بغيـر الصـحيح [1] حتـى قـال الشـافعي فـي هـذا الشـأن بأنـه لـم يثبـت عـن ابـن عبـاس فـي التفسـير إلا شـبيه بمائـة حديث.

التفسير بالرأي:

يقـوم هـذا النـوع مـن التفسـير علـى الاجتهـاد ويعتمـد علـى مـؤهلات المفسـر وقدراتـه الذهنيـة علـى الاسـتنباط " فـإن الـذي يحـدث فـي الـنص القرآنـي بواسـطة الاسـتنباط هـو نـوع مـن الإضـافة وكأننـا أمـام عمليـة توليد للمعنى فكل معنى يحيل على معنى آخر "

وقـد اختلـف العلمـاء فـي حكمـه بـين محـرم ومجـوّز، فـالمحرم منـه هـو الجـزم بـأن مـراد الله كـذا مـن غيـر برهـان، أو تأييـد الأهـواء بآيـات القـرآن.. أمـا إن كانـت الشـروط المطلوبـة متـوافرة فـي المفسـر فـلا مـانع مـن محاولتـه التفسـير بـالرأي.[2] ومـن بـين أشـهر المفسـرين بـالرأي الزمخشري (تفسير الكشاف)

بعـدما كـان التـداول علـى كلمـة التأويـل والتفسـير بـنفس المعنـى مـن قبـل البـاحثين اسـتقر الأمـر علـى التفريـق بينهمـا فخـص التفسـير بتنـاول المـدلول اللغـوي القريـب الـذي يعنـى بشـرح المعنـى، وخـص التأويـل بأنــه عمليــة عقليــة تســمو إلــى إدراك المقاصــد الخفيــة والعميقــة ممــا لا يدركه سائر الناس [3]

وهـذه نقطـة تمييـز بـين التفسـير والتأويـل، فالتأويـل صـالح لكـل كـلام لـه معنـى ظـاهر فيعمـل علـى غيـر ذلـك المعنـى أمـا التفسـير فهـو أعـم مـن التأويـل لأنـه يبـين مـدلول اللفـظ مطلقـا والتفسـير يبـين مـدلول اللفـظ اعتمـادا علـى دليـل عقلـي وهـذا يعنـي أن المفسـر ربمـا تكـون أحكامه قطعية في حين المؤول أحكامه ترجيحية.

---

[1]- [1]- خالد سونامي، مذكرة ماجستير بعنوان " تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري "، جامعة مولود معمري-تيزي وزو، ص32.

[2]- المرجع السابق، ص34.35.

[3]- د. عبد الإلاه نبهان، التأويل الصوفي للنص ، د (ط.ت)، ص49.

وهكـذا تتضـح حاجـة التفسـير إلـى الشـرح والتأويـل، كمـا يسـعى التأويل للغوص في المعنى حتى يصل إلى أفضل تفسير.[1]

[1]- د. عواطف الكنوش التميمي، المعنى والتأويل في النص القرآني، ص 27..33.

3- الاجتهاد:

لغة: بذل الوسع في طلب المقصود

اصـطلاحا: هـو بـذل أقصـى الجهـد أو الطاقـة فـي أمـر مـن الأمـور الشرعية التي لا نص عليها للاهتداء إلى الحكم الشرعي

وبــذلك يخــرج الاجتهــاد مــن الأمــور القطعيــة أو المؤكــدة أو المنصـوص عليهـا فـي القـرآن والسـنة، ولا يتنـاول إلا كـل مـا لا نـص فيه أو ما فيه نص غير قطعي الدلالة. [1]

نوعا الاجتهاد:

يعتبـر اللجـوء إلـى الاجتهـاد حتميـة نتيجـة الصـراع بـين الفـرق والتيـارات المتعارضـة داخـل الـبلاد الإسـلامية الشاسـعة ونميـز بـين نوعين من الاجتهاد: الاجتهاد الفقهي والاجتهاد الكلامي

الاجتهـاد الفقهي:يـرى بعـض المفكـرين أنـه مـن الحكمـة الإلاهيـة أن يتـرك النـاس أحـرارا فـي تعريـف أمـور دنيـاهم، وذهـب السـيوطي إلى أنه يجب ألا يخلو زمن من مجتهد واحد على الأقل [2]

كمـا ذهـب مسـكويه* إلـى القـول أن الأحكـام لابـد أن تظـل خاضـعة لعمليـة إنتـاج دائمـة متجـددة قصـد مسـايرة الزمـان والتغيـر فـي الأحـوال، يقـول: " أن بعـض الأحكـام يتغيـر بحسـب الزمـان وبحسـب العـادة وعلـى قـدر مصـالح النـاس لأن الأحكـام موضـوعة علـى العـدل الوضعي"

وقـد رخـص الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم لمعـاذ بـن جبـل باسـتعمال اجتهـاد الـرأي[3]، إن الأخـذ بـالرأي عنـد الفقيـه أو القاضـي

---

[1]- د مهدي فضل الله، الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام، ط: الأولى، 1987، دار الطليعة، بيروت لبنان.

[2]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 23.

[3]- بنسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام، تقديم: ماكسيم رودنسون، محمد عزيز الجبائي، ط: الأولى، 1993، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان.

*- مسكويه: هو أحمد بن يعقوب أبو علي الملقب مسكويه (932 ه- 1030 ه) فيلسوف ومؤرخ وشاعر فارسي بارز من أبناء مدينة الريفي إيران الحالية. كان ناشطاً في الميدان السياسي زمن الدولة البويهية، حيث كان موظفاً رسمياً في تلك الدولة وعمل في بغداد وأصفهان، يعتبر مسكويه هو أول علماء المسلمين الذين كتبوا في علم الأخلاق بمفهومه العلمي و الفلسفي، و ذلك خلال كتابه (تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق)، و لمع نجمه في الفلسفة حتى لقبه البعض ب"المعلم الثالث"، ويعتبر مسكويه أول عالم مسلم بارز درس "الأخلاق الفلسفية" من وجهة نظر علمية وذلك في كتابه [تهذيب الأخلاق]والذي ركز فيه على الأخلاق

يحصـل حينمـا يواجـه حـالات لـم تـرد فـي النصـوص بصـريح العبـارة ويمكـن القـول: " إن الاجتهـاد هـو العلـم بالقواعـد أو طـرق الكشـف التـي يضـعها الأصـولي والتـي يتوصـل بهـا إلـى اسـتنباط الأحكـام الشـرعية مـن أدلتهـا، وإن موضـوع الاجتهـاد الفقهـي هـو الأدلـة الشـرعية التـي تتضـمن الأدلـة التفصـيلية علـى الأحكـام الشـرعية: واجبـة، مندوبـة، مباحـة، مكروهـة، محرمـة، هـذه الأدلـة الشـرعية هـي الكتـاب والسـنة والإجماع والقياس باتفاق جميع المسلمين.

وقـد زاد أهـل الشـيعة – الاماميـة الاثنـي عشـرية – مـن المسـلمين على هذه الأدلة الثلاثة: دليل العقل

أمـا أهـل السـنة مـن المسـلمين فقـد زادوا علـى هـذه الأدلـة الثلاثـة دليل القياس الذي رادف الشافعي بينه وبين الاجتهاد "[1]

والاجتهـاد فـي الإسـلام أمـر واجـب فهنـاك فـي القـرآن مـا يزيـد عـن ثلاثمائـة آيـة تـدعو إلـى التأمـل وتحكـيم العقـل، لـذا فالاجتهـاد الفقهـي ضـرورة حياتيـة لمسـايرة التغيـرات التـي تطـرأ علـى المجتمعـات فـي العصـور والبيئـات المختلفـة، ومواجهـة كـل الوقـائع الاجتماعيـة التـي قـد تحصـل مـع المحافظـة علـى الثوابـت أو الأصـول المقـررة فـي الـنص: القرآن والسنة.[2]

الاجتهـاد الكلامـي: ظهـر الاجتهـاد الكلامـي للـدفاع عـن مبـادئ الإسلام

ونصـرتها ضـد انتقـادات أعدائـه ومناوئيـه، فالإسـلام دخـل مـع المتكلمين مرحلة العنف العقائدي.

والمعاملات وتنقية شخصية الإنسان. قرأ تاريخ الطبري على أبي بكر أحمد بن كامل القاضي الذي كان صحب الطبري فترة ودرس علوم الأوائل على يد ابن الخمار الذي كان واسع الاطلاع وبرع في الطب حتى لقب بلقب بقراط الثاني ويظهر من كلام الفيلسوف الإسلامي أبي حيان التوحيدي أن ابن مسكويه لم يكن ذا عقلية فلسفية بارعة وأنه شغل بعلم الكيمياء عن الفلسفة فقرأ كتب الكيمياء لكل من أبي الطيب الكيماني الرازي وجابر بن حيان وأبي بكر محمد بن زكريا الرازي.

[1]- د مهدي فضل الله، الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام، ص 22.

[2]- نفس المرجع، ص 24.

لكـن العلاقـة بـين الفقـه وعلـم الكـلام كانـت فيهـا بعـض التناقضـات إلـــى أن حصـــلت القطيعـــة "إذا كـــان الفقـــه يضـــع مبـــادئ الإســـلام كمسـلمات وبـديهيات لا تحتـاج إلـى برهنـة فـإن علـم الكـلام بعكـس ذلـك يخضـعها إلـى التأمـل العقلـي لكـي يـدافع عنهـا ويـتمكن مـن نصـرتها. قـد اضـطر فـي سـياق رجعـي إلـى الخـوض فـي المجـال الـداخلي حتـى الفقهـي منهـا، وهكـذا نشـأت اصـطداماته وصـراعاته مـع فئـات علمـاء العقيدة والشريعة "[1]

ظهـر الاجتهـاد الكلامـي منـذ قيـام الصـراعات الداخليـة بـين بنـي أميـة وشـيعة علـي ممـا أدى إلـى ظهـور الصـراع بـين السياسـة والـدين، وعليـه يرجـع أصـل الاجتهـاد الكلامـي بشـكل أساسـي إلـى العامـل السياســي وهــو مشــكلة الخلافــة " الــذي يشــغل حقّــا بــؤرة التكــوين العقائدي للمذاهب وللملل والنحل التي نعرفها "

وظهـرت أيضـا قضـايا ومواقـف أكثـر إغراقـا فـي الغيبيـات كـالتخيير وخلـق القـرآن عنـد المعتزلـة، الإرجـاء عنـد المرجئـة، وبعـث الإمام عند الشيعة الخ...

وقـد عـالج المتكلمـون مسـائل تتعلـق بـالتنظيم الـداخلي للأمـة أو مسـائل فرضـها منكـروا الإسـلام، وفـي كلتـا الحـالتين كانـت ضـرورة الـرد والتصـدي تتجـاوز قـدرات الفقهـاء لتظهـر بصـورة واضـحة عنـد أهل الجدل.[2]

[1]- بنسالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام، ص 45،46.

[2]- نفس المرجع، ص 47.

التأويل والسياسة:

إن "القــرآن الكــريم" كــلام الله وهــو حامــل الحقيقــة المطلقــة والمصــدر الأول للتشــريع عنــد المســلمين، لكــن وقــع الخــلاف بــين المسـلمين نتيجـة الاخـتلاف حـول مسـألة الخلافـة فأصـبحت كـل فرقـة تتحـرى الحقيقــة فــي تفسـير وتأويـل كــلام الله لتضــفي علــى مقولاتهــا الصواب.

ظهــر التأويــل وطرحــت مشــكلة الظــاهر والبــاطن فــي الــنص ودخلــت دائــرة الســلطة لمــا يتميــز بــه "الــنص" مــن قــوة التــأثير والتقـديس، وهنـا اتخـذ الفكـر السياسـي مسـارا نظريـا عقليـا فاحتلّـت الإمامــة* موقفــا أصــيلا داخــل الفكــر السياســي وشــكّلت تاريخــه الطويــل [1]

إن أهـم أسـباب الخـلاف حـول تأويـل الـنص الـديني هـو الخـلاف السياســي حــول مســألة الإمامــة ومنهــا نتجــت خلافــات حــول مســائل كثيـرة منهـا مـا يقـف عنـد ظـاهر الـنص ومنهـا مـا يخـالف ذلـك إلـى الباطن باستعمال التأويل.

هـذا الخـلاف السياسـي الحـاد وإن كـان سياسـيا فـي منشـئه إلا أنـه تطـور وأصـبح متعلّقـا بالعقائـد ممـا أدى إلـى صـراع فكـري بـين أنصـار ظاهر اللفظ وأنصار جواز التأويل

" فتحـول تأويـل الـنص فـي ممارسـته التحليليـة إلـى بحـث متعـدد الجوانـب... ومـا إن تعـددت الفـرق والمـذاهب حتـى كثـرت الاختلافـات خاصــة فــي علــم الفقــه والمســائل السياســية، ولعــل عامــل السياســة أكثــر العوامـل تصـدعا لوحـدة المسـلمين ممـا نـتج عـن ذلـك الجـدل الحـاد حـول الإمامــة بــين الســنة والشــيعة فأهمــل معظــم القــدامى الحقيقــة التــي لــم

---

[1]-د محمد علي الكبسي، نشأة الفكر السياسي عند العرب، ط: الثانية، 2007، دار الفكر دمشق، ص 310، 315.

*-الإمامة على أسماء مختلفة: ولاية/ خلافة/ إمامة/ سلطنة لكن يجمعها معنى واحد.

الإمامة كلمة لم تكن معروفة بالمفهوم السياسي إلا بعد ظهور الشيعة والغلاة من الخوارج وتحديدا في زمن عثمان بن عفان حيث أصبح الإمام في نظرهم هو من يتولى الأمور السياسية والدينية وخصّوا بها شيعة علي وأولاده من بعده، أما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت الإمامة تعني الصلاة.

يبلغوهـا فـي الـنص سـوى مـا نـالوه مـن ظـاهره، فاتخـذوا التأويـل سـبيلا لهم على نحو من الأنحاء ذريعة لتسوغ مبادئهم "[1]

لـم يكـن الصـراع علـى السـلطة صـراعا دينيـا نابعـا مـن الـدين نفسـه، بـل كـان صـراعا سياسـيا حـول مـن يتـولى " السـلطة أو الزعامـة " بعد وفاة الرسول ومن هو أحق بها

فمنـذ وفـاة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم وبـدء الخـلاف بـين المهـاجرين والأنصـار ومـا ترتـب عليـه مـن اجتمـاع فـي السـقيفة بـرزت فـرق عديـدة نتيجـة الصـراع علـى السـلطة، فكثـرت الأقـوال وتعـددت الآراء وذهـب كـل فريـق مـذهبا معينـا وصـار لكـل فريـق أنصـار تنـادي بـه وتتعصـب لـه فتعـددت الروايـات واختلفـت الأسـانيد وكثـرت الأحاديـث الموضـوعة لمناصـرة النزعـات السياسـية ممـا أدى إلـى نـوع من الصدام والمجادلة الفكرية تحت ستار الدين

ثـم ازداد الصـراع وضـوحا بعـد مقتـل عثمـان وعلـي رضـي الله عنهمـا وظهـرت عـدة اتجاهـات فكريـة وتيـارات سياسـية تمثلهـا فـرق مذهبيـة أخـذت تطالـب بحقهـا فـي ممارسـة السياسـة (السـلطة) وكـان الخـلاف يـدور حـول أمـور سياسـية وعقائديـة منهـا فكـرة الإمامـة والحاكمية (الحكم) ومن أحق بها [2]

ومنـه شـهد التـاريخ الإسـلامي ظهـور عـدة فـرق اختلفـت فـي توجهاتهـا وأولوياتهـا فكانـت: السـنة، الخـوارج، الشـيعة، المرجئـة، المعتزلة والمتصوفة الخ...

وكـل منهـا تـزعم احتكارهـا للحقيقـة وبالتـالي إقصـاء الأطـراف الأخـرى بالتسـفيه والتضـليل والتكفيـر، مـع أن كـل فرقـة تـؤمن بـالله الواحـد الخـالق المعبـود، وكـل فرقـة تـؤمن بمحمـد صـلى الله عليـه وسـلم نبيـا ورسـولا، وتـؤمن بـأن القـرآن كـلام الله حامـل الحقيقـة المطلقـة

---

[1]-عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، د (ط، ت)، ص5.

[2]-عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة (الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية، ط: الثانية،2001، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ص12، 36.

ودستور ومنهج حياة. إلا أن الاختلاف بينها كان حول الإمامة ومنه نشأت كل الخلافات اللاحقة.

وازداد الخلاف تعمقا في عهد علي بن أبي طالب بعد توسّع الفتوحات الإسلامية وأصبح المجتمع متعدّد الألوان العرقية والعقائدية وانتشرت الفتنة لدرجة اقتتال الصحابة فيما بينهم في واقعة الجمل بين أنصار علي وأنصار طلحة والزبير وأمّنا عائشة، ثم حادثة صفين بين جيش علي وجيش معاوية بن أبي سفيان ... واستوى الأمر لبني أمية في الأخير.

وكانت نتيجة هذه النزاعات:

اعتزال بعض الصحابة الصراعات والحروب التي وقعت بين الصحابة ويجوز القول أنه اعتزال سياسي

ظهور أول فرقة خاضت في موضوع مرتكب الكبيرة وكفّرت " كل من قاتل عليا، بمن فيهم عائشة وطلحة والزبير "

بروز هوية فرقة الشيعة " الذين شايعوا عليا كرم الله وجهه وقالوا بإمامته وخلافته نصّا ووصية " وازداد تشيعهم بعد مقتل علي رضي الله عنه.[1]

كان نشوء هذه الطوائف من خلال تأويلهم للأحداث والوقائع على ضوء ما يبدو للبعض في نصوص القرآن والسنة، ويرى البعض أنه " لا خلاف في خصوصية الفهم الذي يدعو إلى طلب الحقيقة بالأدلّة النقلية والعقلية ضمن سياق التأويل الصحيح لكن الخلاف يكمن فيما تشابه على بعضهم، فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم بوجوه التأويلات الضالّة "[2]

إن الشرع يخاطب كافة الناس وتفسير الظاهر والباطن في الشرع بحسب التعددية في البشر فهم يتساوون من جهة أنهم كلهم

[1] خالد سوماني، مذكرة (تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري)، ص34، 35.

[2] - د عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، ص 7.

مخـاطبون بـالوحي، ومختلفـين مـن حيـث قـدراتهم فـي التصـديق فيبقـى الهدف واحد لكن الوسائل مختلفة، والتأويل أحدها[1]

[1]- مجلة المواقف، عدد خاص أفريل 2008، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي معسكر، ص 139.

تمهيد:

اكتسب مصطلح التأويل في الفلسفة الإسلامية عدة معان من خلال التطور الاجتماعي وما نتج عنه من صراع فكري وسياسي في العصر الوسيط في الحضارة العربية الإسلامية وهو العصر الذي انتشرت فيه النزعة التأويلية فظهرت فرق ومذاهب عديدة تهتم بتأويل النص الديني حتى كثرت الاختلافات خاصة في علم الفقه والمسائل السياسية فأدى ذلك إلى العداء بين الفرق الإسلامية خاصة السنة والشيعة هذه الأخيرة نجحت في تحويل فكرها الديني إلى دين كامل عن طريق التأويل

ويعد موضوع أصول الحكم ونظرية الإمامة من أخطر قضايا الفكر الإسلامي وهي أولى القضايا التي اختلف فيها المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فتجادل حولها المسلمون إلى درجة احتدام الصراع بينهم لعدة قرون قال الشهرستاني: " ما سلّ سيف في الإسلام مثلما سلّ على الإمامة في كل مكان ".

ومشكلة الخلافة أو الإمامة انقسم فيها المسلمون إلى فئتين، فئة رأت أن النبي عليه السلام ترك للمسلمين حق اختيار الحاكم، وفئة وقفت إلى جانب علي بن أبي طالب معتمدة على النصوص التي وردت في الأحاديث وهم الشيعة، وهتان الفئتان هما مصدر الفرق الإسلامية.

1- مدرسة السنة والجماعة والتأويل:

السنة:

السـنة فـي اللغـة السـيرة، وفـي اصـطلاح المسـلمين إذا قيـل سـنة رسول الله قصد بها قول الرسول صلىالله عليه وسلم وفعله وتقريره.

وسـنة الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام مـن مصـادر الشـريعة الإسـلامية لقولـه تعـالى: " ومـا آتـاكم الرسـول فخـذوه ومـا نهـاكم عنـه فانتهوا " الحشر/ 7

وقولـه تعـالى: " ومـا ينطـق عـن الهـوى إن هـو إلا وحـي يـوحى " النجم/ 3

وقولـه عـز وجـل: " لقـد كـان لكـم فـي رسـول الله أسـوة حسـنة لمـن كـان يرجـو الله واليـوم الآخـر وذكـر الله كثيـرا " الأحـزاب/ 21. إلـى آيـات أخرى....

وقـد حـثّ عليـه السـلام علـى اتّبـاع سـنته ونهـاهم عـن مخالفتهـا مثل قوله: " من رغب عن سنتي فليس مني "[1]

يعتمـد أهـل السـنة علـى القـرآن الكـريم وسـنة الرسـول منهـاج حيـاة فـي الـدنيا والآخـرة ويـرون بوجـوب اسـتنباط أحكـام الشـريعة مـن القرآن والسنة وإجماع الصحابة.

ويتفـق أهـل السـنة بوجـوب نصـب الإمـام أو الخليفـة لقولـه تعـالى: " يـا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا الله والرسـول وأولـي الأمـر مـنكم .." النساء/ 59

"ويـرى الإمـام ابـن تيميـة أن الخلافـة واجـب علـى المسـلمين إقامتهـا شـرعا.. فـلا تبـرأ ذمّـتهم إلا إذا قـام علـى مجـتمعهم خليفـة أو حـاكم ينظم شؤون الناس ويقيم الحدود " [2]

ولقـد اهتمـت فرقـة السـنة بـالفكر السياسـي مسـتندة إلـى الـدين لأن الرسـول عليـه السـلام جمـع بـين السـلطتين الروحيـة والزمنيـة منـذ

1- السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج: 2، 1990، مؤسسة النعمان بيروت، لبنان، ص 16.

2- د صلاح الدين شبيوني رسلان، الفكر السياسي عند الماوردي، د ط، 1985، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 97.

هجرتـه إلـى المدينـة" ويسـتند فقهـاء أهـل السـنة فـي تقيـيمهم لكثيـر مـن أحكام الرسول السياسية أنها كانت عن اجتهاد إلى أمور ثلاثة:

1- أن الرسول لم يبيّن الأحكام السياسية تفصيلا كما بيّن أحكام الدّين
2- أنه لم يستخلف
3- أنــه كــان يستشــير أصــحابه، وكــان ينــزل عــن رأيــه فــي كثيــر مــن الأحكام"[1]

ويـــرى أهـــل الســـنة أن مســـألة الخلافـــة لـــم تحـــدد تفاصـــيل ممارســـتها لا مـــن طـــرف القـــرآن ولا مـــن طـــرف الرســـول، فتـــرك للمسلمين تسيير أمورهم مع المحافظة على الأصل الثابت.[2]
والتصـــرفات النبويـــة بالإمامـــة تصـــرفات تشـــريعية خاصـــة بزمانهـــا وظروفهـــا يعبّـــر عنهـــا ابـــن القـــيم بأنهـــا: "سياســـة جزئيـــة بحســـب المصـــلحة، وأنهـــا مصـــلحة للأمـــة فـــي ذلـــك الوقـــت، وذلـــك المكـــان، وعلى تلك الحال ".[3]

ويتفـق أهـل السـنة علـى أن نصـب الإمـام أو الخليفـة واجـب لقولـه تعـالى: " يـا أيهـا الـذين آمنـوا أطيعـوا الله والرسـول وأولـي الأمـر مـنكم فـإن تنـازعتم فـي شـيء فـردّوه إلـى الله والرسـول إن كنـتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا "النساء/ 59
وقـد أطلـق علـى صـاحب السـلطة فـي الفكـر السياسـي الإسـلامي: لقـب (الخليفـــــــــــــــــــــــــــــــــــة) و (أمير المؤمنين) و (الإمام).

الخليفة: نجد هذا المفهوم في القرآن والسنة

1- النظريات السياسية، ص42.
2- د حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، ط: الثانية، 2006، بيروت، ص 440.
3- مجلة إسلامية المعرفة، السنة السادسة: العدد الرابع والعشرون، ص 15.

ففـي القـرآن يخاطـب الله نبيـه داود فيقـول: " يـا داود إنـا جعلنـاك خليفـة فـي الأرض فـاحكم بـين النـاس بـالحق ولا تتبـع الهـوى فيضـلك عن سبيل الله "

يـراد بالخلافـة فـي هـذه الآيـة الخلافـة عـن الله لا عـن النـاس، فالنبوة هي المرادة.

وفـي القـرآن كـذلك (الاسـتخلاف) فـي قولـه تعـالى: " وعـد الله الـذين آمنـوا مـنكم وعملـوا الصـالحات ليسـتخلفنهم فـي الأرض كمـا اسـتخلف الذين من قبلكم... " النور/ 55.

وقولـه سـبحانه: " وهـو الـذي جعلكـم خلائـف فـي الأرض " فـاطر/ 39، " عسـى ربكـم أن يهلـك عـدوكم ويسـتخلفكم فـي الأرض.." الأعـراف/ 129.. والمـراد هنـا هـو الخلافـة عـن الله فـي عمـارة الأرض وهـي الوظيفة العامة لبني الإنسان.

أمـا فـي السـنّة يـروي أبـي حـازم عـن أبـو هريـرة حـديثا عـن النبـي قـال: " كانـت بنـي إسـرائيل تسوسـهم الأنبيـاء، كلمـا هلـك نبـي خلفـه نبـي، وأنـه لا نبـي بعـدي، وسـتكون خلفـاء، فتكثـر قـالوا: فمـا تأمرنـا؟ قـال فمبايعـة الأول فـالأول واعطـوهم حقهـم، فـإن الله سـائلهم عما استرعاهم " رواه مسلم.[1]

والخلافـة كنظـام حكـم بـدأت مـع أبـي بكـر عقـب مبايعتـه المعروفـة ببيعـة السـقيفة ليخلـف رسـول الله عليـه وسـلم، ومـن هنـا كـان تعريـف المـاوردي لهـا بأنهـا: " خلافـة النبـوة فـي حراسـة الـدين وسياسة الدنيا"

أمير المؤمنين:

ارتبطـت نشـأة لقـب أميـر المـؤمنين بعمـر بـن الخطـاب، وقـد اختـار عمـر لقـب أميـر المـؤمنين علـى لقـب خليفـة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم لأن هـذا اللقـب كـان أكثـر تحديـدا فـي التعبيـر عـن الطبيعـة

[1]- د محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ط: الرابعة، 1989، دار الشروق، القاهرة، ص 29.

الدنيويـة لهـذا المنصـب، وأكثـر بعـدا عـن الظـن بـأن لصـاحبه سـلطات دينية مثل تلك التي كانت للرسول عليه الصلاة والسلام.[1]

[1]- المرجع نفسه، ص 32.

الإمام:

ارتبطـت نشـأة لقـب الإمـام بنشـأة الفكـر الشـيعي فـي موضـوع الإمامة

والقـرآن وردت بـه كلمتـا (إمـام) و (أئمـة) ولكـن معنـى هـاتين الكلمتـين فـي القـرآن - خلافـا للشـيعة -لا ينطبـق علـى مـا نعنيـه الآن، فالإمـام فـي الأصـل اللغـوي هـو المقـدم فـي أي شـيء والمقتـدى بـه فـي أي سـبيل " ومن ذلك قيل إمام الصلاة لأنه يقتدى به

أمـا القـرآن فإنـه يسـتخدم كلمـة إمـام فـي مقـام المسـؤوليات الدينيـة لا السياسـية، فهـو خـاص بـالنبوة والتقـوى ولـيس فيهـا مـن مـدلولات لنظـام الدولـة السياسـية شـيء. فالإمـام فـي قولـه تعـالى: " فانتقمنـا مـنهم وإنهما لبإمام مبين " (الحجر/ 49)،معناه (الطريق الواضح).

وفـي قولـه عـز وجـل: " وكـل شـيء أحصـيناه فـي إمـام مبـين " (يـس/ 12)، معنـاه (اللـوح المحفـوظ)، وفـي قولـه: " وإذ ابتلـى إبـراهيم ربـه بكلمـات فـأتمّهن قـال إنـي جاعلـك للنـاس إمامـا.."(البقـرة/ 125)، يراد به النبوة.

وفـي قولـه " واجعلنـا للمتقـين إمامـا " (الفرقـان/ 74)، (معنـاه يقتدون بنا في أمر الدين)...

وفي السنة الإمام معناه المقدم في الدين والتقوى والهدى والإرشاد.

يـروي ابـن عـوف عـن الرسـول قولـه: " خيـار أئمـتكم الـذين تحبـونهم ويحبـونكم وتصـلون علـيهم. وشـرار أئمـتكم الـذين تبغضـونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم " رواه مسلم.

والحـديث الـذي يرويـه البخـاري فـي كتـاب الأحكـام: " ألا كلكـم راع وكلكـم مسـؤول عـن رعيتـه، والإمـام راع وهـو مسـؤول عـن رعيتـه".. هـذا الحـديث يرويـه مسـلم فـي كتـاب الإمـارة: " ألا كلكـم راع وكلكـم مسـؤول عـن رعيتـه، فـالأمير الـذي علـى النـاس راع وهـو مسؤول عن رعيته "

فالـذين دوّنـوا هـذا الحـديث دوّنـوه فـي عصـر شـاع فيـه مصـطلح الإمـام، واسـتخدمه المفكـرون المسـلمون عامـة لـرئيس الدولـة أو الأمـة تأثرا بمباحث الشيعة في هذا المجال.

" ذلـك هـو مصـطلح القـرآن: (الأمـر)، وعلـى القـرآن يجـب أن تعـرض السـنّة حتـى يتميـز الصـحيح حقـا مـن المحـرّف والموضـوع.. فموضـوع (الإمامـة) يعبّـر عنـه القـرآن (بـالأمر)، ومـن ثـم فإننـا نميـل إلـى أن المصـطلح الـذي اسـتخدمته السـنة الصـحيحة هـو مصـطلح (الأميـر)، وهـو المصـطلح الـذي اختـاره عمـر بـن الخطـاب عنـدما استبدل لقب (خليفة رسول الله) بلقب (أمير المؤمنين) "[1]

فالمفـاهيم الـثلاث ليسـت مترادفـة لأن لقـب خليفـة رسـول الله يشـير إلـى الصـلة القريبـة بـين صـاحبه وبـين الرسـول عليـه السـلام مؤسس الدولة، وهو ما اعتبره عمر خاصا بأبي بكر.

ولقـب أميـر المـؤمنين أكثـر دلالـة علـى مـن لـه سـلطة (الحـرب ورئيس الإدارة المدنية) بخاصة.

أمـا لقـب الإمـام فإنـه يعنـي أن لصـاحبه فعاليـة دينيـة ليسـت لغيـره مـن الناس.

هل أوصى النبي بالخلافة إلى أسرته؟

يؤكـد الشـيعة الوصـية وينكـر أهـل السـنة ذلـك الـزعم، " ويقـرر ابـن خلـدون أن الوصـية لعلـي لـم يصـح، ولا نقلـه أحـد مـن أئمـة النقـل، والـذي جـاء فـي الصـحيح أن الرسـول طلـب الـدواة والقرطـاس ليكتـب الوصـية وأن عمـر منـع مـن ذلـك دليـل واضـح علـى أن مـا ذهـب إليـه الشيعة لم يقع "[2].

والخلافـة عنـد أهـل السـنة لا تـتم إلا بالبيعـة، وقـد ارتكـزت فلسـفة الحكـم فـي دولـة الخلافـة علـى الشـورى، والشـورى أمـر إلهـي تحدّث عنها القرآن الكريم في مواطن ثلاثة:

---

[1]- المرجع السابق، ص 37.

[2]- د صلاح شبيوني رسلان، الفكر السياسي عند الماوردي، د ط، 1985، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ص 132.

أحـدها خـاص بالحـديث عـن الأسـرة ومشـكلاتها فجعـل القـرآن " التشـاور " وسـيلة فصـل فـي هـذه المشـكلات وذلـك فـي أمـر الرضـاعة ومسـؤولياتها قـال تعـالى: " والوالـدات يرضـعن أولادهـن حـولين كـاملين لمـن أراد أن يـتم الرضـاعة. وعلـى المولـود لـه رزقهـن وكسـوتهن بـالمعروف. لا تكلـف نفسـا إلا وسـعها. لا تضـار والـدة بولـدها ولا مولـود لـه بولـده وعلـى الـوارث مثـل ذلـك فـإن أرادا فصـالا عـن تـراض منهمـا وتشـاور فـلا جنـاح عليهمـا... " (البقـرة/ 233)،(فـلا جناح عليهما الفصال إذا كان تراض وتشاور...)

أمـا الموطنـان الآخـران فـإن الشـورى تقتـرن بالسياسـة والشـؤون البشـرية مـن خـلال أمـره تعـالى للرسـول صـلى الله عليـه وسـلم: " فـاعف عـنهم واسـتغفر لهـم وشـاورهم فـي الأمـر فـإذا عزمـت فتوكـل على الله، إن الله يحب المتوكلين " (آل عمران/ 159).

فالشـورى ضـمان لمنـع الاسـتبداد فـي الحكـم الإسـلامي فـلا تفـرد ولا فردانية كما عبر عن ذلك البنا وقطب.

والمـوطن الأخيـر الـذي تحـدّث فيـه القـرآن عـن الشـورى جـاء فـي معـرض تعـداد أوصـاف المـؤمنين، قـال سـبحانه وتعـالى: " والـذين اسـتجابوا لـربهم وأقـاموا الصـلاة وأمـرهم شـورى بيـنهم، ومما رزقناهم ينفقون " (الشورى/ 38)

"ففـي الجانـب الـديني اسـتجابوا لـربهم فـآمنوا ثـم أقـاموا الصـلاة التـي صـدقت ودلـت علـى هـذا الإيمـان.. وفـي أمـورهم وسياسـتهم وشـئونهم الدنيوية التزموا الشورى كفلسفة وسلوك ".[1]

والسـنة النبويـة تزخـر بـالمواقف التـي التـزم فيهـا الرسـول بالشـورى، فقـد شـاور أصـحابه فـي اختيـار مـوطن القتـال يـوم بـدر، ويوم غزوة الأحزاب، وفي اتخاذ وسيلة للإعلام بأوقات الصلاة..

[1]- د محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ص 55.

فكل مـا لـم يخضـع لـنص صـريح فـي القـرآن الكـريم فهـو مـادة للشـورى وموضوع لها.

وبخصـــوص إذا مـــا كـــان هنـــاك نظريـــة متكاملـــة لقضـــية الشـــورى، هنـــاك مـــا يشـــير إلـــى وجـــود مجلـــس للشـــورى فـــي عهـــد الرســـول كـــان عـــدد أعضـــائه ســـبعين عضـــوا عرفـــت تلـــك الهيئـــة فـــي كتـــب التـــاريخ باســـم (المهـــاجرين والأنصـــار) والتـــي اســـتأثرت بمنصـــب الخليفـة ترشـحه مـن بـين أعضـائها وتختـاره هـي ثـم يبـايع علـى قرارهـا من حضر المدينة من المهاجرين والأنصار.

تكونـت هـذه الهيئـة مـن عشـرة مـن كبـار الصـحابة هـم: أبـو بكـر الصـديق، وعمـر بـن الخطـاب، وعثمـان بـن عفـان، وعلـي بـن أبـي طالـب، وطلحـة بـن عبيـد الله، والزبيـر بـن العـوام، وعبـد الـرحمن بـن عـوف، وسـعد بـن أبـي وقـاص، وسـعد بـن زيـد بـن نفيـل، وأبـو عبيـدة بن الجراح.

وفـي السـقيفة قـال أبـو بكـر: " إن العـرب لا تـدين إلا لهـذا الحـي مـن قـريش " أي الحـي الـذي تكـوّن فـي المدينـة مـن مهـاجرة قـريش والذي تتزعمه هذه الهيئة من المهاجرين الأولين.

وقد وسّع عمر دائرة الشورى بإضافة أعضاء جدد لها

وظلـت سـلطة الخلافـة الراشـدة فـي هـذه الهيئـة حتـى انتهـت هـذه الدولـة وزال نظامهـا بانتقالهـا إلـى معاويـة بـن أبـي سـفيان فطويـت صـفحة الخلافـة التـي أسّسـت علـى فلسـفة الشـورى وتحولـت الدولـة إلـى ملـك وراثـي احتكـره الأمويـون فـذهبت قاعـدة الشـورى بـذهاب دولة الخلافة.

والشـروط المعتبـرة لتـولي الخلافـة: الحريـة (العبـد لا ولايـة لـه) والبلـوغ والـذكورة " ولا يقـوم كـل أفـراد الأمـة ببيعـة الإمـام، كمـا لا

تنفـرد الأمــة كافــة للجهــاد، وإنمــا ينــوب عنهــا خيارهــا للاختيــار وهــم أهل الحل والعقد الذين يتولون عقد البيعة للإمام "[1]

ويشترط الماوردي في أهل الحل والعقد ثلاثة شروط:

1- العدالة ويقصد بها الاستقامة والإمامة والورع.
2- العلـم الـذي يتوصـل بـه إلـى معرفـة مسـتحق الإمامـة علـى الشـروط المعتبرة بها.
3- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار الأصلح للإمامة.

أمــا الشــروط الواجــب توفرهــا فــي الخليفــة أو الإمــام فقــد حــدّدها الماوردي في ستة شروط:

الأول: العدالة على شروطها الجامعة (الورع والتقوى)

الثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام

الثالـث: سـلامة الحـواس مـن السـمع والبصـر ليصـح عنهـا مباشـرة مـا يدرك بها

الرابــع: ســلامة الأعضــاء مــن نقــص يمنــع مــن اســتيفاء الحركــة وسرعة النهوض

الخامس: الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح

السـادس: النسـب، وهـو أن يكـون مـن قـريش لـورود الـنص فيـه وانعقـاد الإجمــاع عليــه ولا اعتبــار بضــرار حــين شــذ فجوّزهــا فــي جميــع الناس.[2]

" الحــاكم الأعلــى أو الإمــام فــي نظــر الإســلام، لا يســتمدّ ولايتــه مــن قـوة غيبيـة، بـل هـو فـرد عـادي يسـتمد ولايتـه مـن الأمـة التـي اختارتـه وكـيلا عنهـا بمحـض إرادتهـا وهـو مسـؤول أمامهـا فـي الـدنيا، فضـلا عن مسؤوليته أمام الله يوم القيامة "[3].

---

[1]- د صلاح الدين شبيوني رسلان، الفكر السياسي عند الماوردي، ص 135.

[2]- المرجع نفسه، ص 135.

[3]- مجلة إسلامية المعرفة، ص 52.

هل يجوز تعدد الخلفاء أو الأئمة؟

يــرى الفقهــاء ألا يكــون للأمــة أكثــر مــن خليفــة أو إمــام لأن الحكم لأكثر من واحد يفضي إلى التنازع والشقاق.

ومــن أهــم المشــاكل التــي واجهــت الفكــر السياســي لــدى أهــل السنة مسألة الخروج على الحاكم الجائر

فهل يجوز خلع الخليفة أو الإمام إن بغى أو طغى؟

يقـول الإمــام الشــافعي: ينعـزل الإمــام بالفسـق والجـور، وكـذلك يذهب إلى نفس الرأي الماوردي والغزالي والشهرستاني..

لكـن حـين يثـار السـؤال: مـن يخلعـه؟ وهـل يجـوز الخـروج والثـورة عليـه؟ فإنـه يتغلـب الخـوف مـن الفتنــة والانشـقاق وتتـرجح وحـدة فكـرة الجماعة، ويقول أحمد بن حنبل: السمع والطاعة للأئمة[1]

[1]- المرجع نفسه، ص 50،51.

الصراع على السلطة:

بـدأت خلافـات المسـلمين بعـد الرسـول فـي السياسـة ولـيس فـي الـدّين، ففـي السـقيفة حـدث أول خـلاف علـى الإمـارة بـين المهـاجرين والأنصـار وفـي عهـد عمـر وإن لـم يشـهد خلافـا حـول الإمامـة إلا أنـه شـهد جـدلا حولهـا، وفـي آخـر عهـد عثمـان بـن عفـان انتهـى الخـلاف نهايـة داميـة وانتقـل الصـراع حـول الخلافـة مـن نطـاق الخاصـة إلـى نطـاق العامـة، واسـتمر الخـلاف فـي زمـن علـي بـن أبـي طالبوهـذا الخلاف هو أول وأعظم خلاف أدّى إلى اقتتال المسلمين".[1]

[1]- د محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ص 61.

2- مدرسة أهل البيت (الشيعة) والتأويل:

الشيعة:

لغـة تعنـي الأتبـاع والأنصـار، وصـارت تطلـق علـى كـل مـن يتـولى عليا وأهل بيته

وقـد وردت هـذه الكلمـة فـي القـرآن الكـريم كمـا فـي قولـه تعـالى: " وإن مـن شـيعته لإبـراهيم " (الصـافات/ 83)، وقولـه تعـالى: " هـذا مـن شـيعته وهـــــــــــــــــــــــــــــــذا مـــــــــــــــــــــــــــــــن عدوه " (القصص/ 15)

وقد اختلفت تعريفات الباحثين للشيعة نذكر منها:

1- النـوبختي: الشـيعة هـم فرقـة علـي بـن أبـي طالـب عليـه السـلام المسـمون بشـيعة علـي فـي زمـان النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وبعـده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته.

2- الشهرسـتاني فـي الملـل والنحـل: الشـيعة هـم الـذين شـايعوا عليـا عليـه السـلام علـى الخصـوص، وقـالوا بإمامتـه نصـا ووصـية إمـا جليـا أو خفيـا واعتقـدوا أن الإمامـة لا تخـرج مـن أولاده وإن خرجـت فـبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده.

" ومصـطلح الشـيعة بمفهومـه المعاصـر يـرتبط بمـولاة وحـب علـي بـن أبـي طالـب والأئمـة مـن ذريتـه حيـث تشـترك كـل فـرق الشـيعة بهـذه المـوالاة والحـب وعلـى الـرغم مـن اختلافهـا فـي الأصـول وعـدد الأئمـة وهـــــــل هـــــــم مـــــــن ولـــــــد الحســـــــن أو الحسين "[1]

ذهـب الشـيعة إلـى أنهـا كفرقـة ظهـرت عقـب اجتمـاع السـقيفة (تجمـع علـى ذلـك مصـادرهم وتتفـق فيـه فـرقهم ويتفـق معهـم فـي ذلـك علمـاء الاستشـراق) عنـدما تمّـت بيعـة أبـي بكـر رفـض علـي أن يبـايع ورأى نفسـه أحـق بهـا وأيّـده فـي ذلـك آل البيـت جميعـا إلـى أن أقنعـه أبـو

[1]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص 12.

عبيـدة بـن الجـراح بالمبايعـة، وقـد أشـار اليعقـوبي* والمسـعودي بـأن ما جرى في السقيفة ليس فيه شيء من الشورى.

وطريقـة معرفـة الحكـم عنـد الشـيعة يكـون بالاجتهـاد فـي فهـم الـنص وداخـل إطـاره وتبـرّر ذلـك بـأن ديـن الإسـلام لـيس ناقصـا فـالله أنـزل الشـرع تامّـا ويسـتدلّون بقولـه تعـالى: " مـا فرّطنـا فـي الكتـاب مـن شـيء " وقولـه: " فيـه تبيانـا لكـل شـيء " وهـي آيـات تـدل علـى اشـتمال القـران علـى جميـع الأحكـام " فكـل مـا لـيس فـي الكتـاب وجـب أن لا يكون في الشرع "[1]

ومن أهم قضايا الفكر السياسي الشيعي نظرية الإمامة:

الإمامة:

تعـد قضـية خلافـة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم أهـم عامـل لنشـأة الفكـر السياسـي الشـيعي وأسـاس الخـلاف العقائـدي بـين الفـرق الإسـلامية. والإمامـة هـي صـفة التشـيع الرئيسـية، وقـد شـكلت كيفيـة تنصـيب الإمـام/ الخليفـة السـبب الرئيسـي لانـدلاع الحـرب بـين المسـلمين والتـي أطلـق عليهـا اسـم "الفتنـة الكبـرى"، وأثـارت جـدلا كبيرا بين الفقهاء وكانت الأساس لتطور الفكر السياسي الإسلامي.

والإمـام عنـد الشـيعة هـو مـن جـنس البشـر خلقـا ولكنـه يصـطفي عـنهم، وقـد زاد الشـيعة علـى أركـان الإسـلام الخمسـة ركـن آخـر هـو "الاعتقـاد بالإمامـة" التـي هـي منصـب إلهـي كـالنبوة والفـارق الوحيـد بـين النبـي والإمـام هـو الـوحي "فالشـيعة علـى اخـتلاف فـرقهم يقولـون بنصـب الإمـام كلّمـا مضـى مـنهم إمـام نصـب مـن عقبـه إمامـا بيّنـا وهاديـا نيّـرا يهـدون بـالحق وبـه يعـدلون حجـج الله ودعاتـه ورعاتـه

---

[1]-د عبد الهادي الفضلي، تأريخ التشريع الإسلامي، د (ط، ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 61.

*- اليعقوبي هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت 284ه/ 897م) هو أحد أكثر المؤرخين الأوائل تعاطفا مع العلويين انطلاقا من انتمائه لشيعة علي ويعدّ كتابه تاريخ اليعقوبي ذا أهمية وقيمة. وهو أحد أصحاب الرأي في حركة الشيعة ويلاحظ عليه التحامل الشديد والمبالغ فيه على الأمويين أما منهجه في العرض فهو إهمال الأسانيد.

علـى خلقـه يـدين بهـم العبـاد"[1]، فـالله اصـطفى النبـي وأمـره بـأن يـدل الأمة على الإمام وأمر بتنصيب علي وأمرهم باتباعه.

وقـد روى الكلينـي حـديثا عـن الرسـول يقـول: "فـإن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه قـال: مـن مـات ولا يعـرف إمامـه مـات ميتـة جاهليـة، قـال الله عزوجـل: " أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولـي الامر منكم " فكان علي عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر، إن الارض لاتصلح إلا بإمام ومن مات لايعرف إمامه مات ميتة جاهلية"[2]، فالإمام هو الفيصل بين الإسلام والجاهلية.

تعـدّ الإمامـة عنـد الشـيعة بشـكل عـام، والشـيعة الاثنـي عشـرية بشـكل خـاص أصـل مـن أصـول الـدين لـذا فهـي تفـرّقهم عـن بقيـة المـذاهب الإسـلامية الأخـرى (السـنة وبقيـة الفـرق) التـي يعتبرونهـا مـن الفـرع " واتفقـت الإماميـة علـى أن مـن أنكـر إمامـة أحـد الأئمـة وجحـد مـا أوجبـه الله تعـالى مـن فـرض الطاعـة فهـو كـافر ضـال مستحق للخلود في النار " (حسب قول الشيخ المفيد)[3]

والإمامـــة لا يمكـــن أن تكـــون بالشـــورى والانتخـــاب وهـــم يستندون في ذلك إلى أن الرسول لم يمارس الشورى بشكل عملي، لذلك تتبنى الشيعة قضية الإمامة مستندة إلى حجج شرعية متمثلة في نصوص قرآنية ونبوية، إضافة إلى حجج عقلية، يقول الدكتور علي شريعتي: "الإمامة لدى الشيعة هي استمرار لإمامة محمد - دون نبوته - والإمامة عندهم هي بمعنى القدوة أي النموذج السامي للمدرسة والمنهج والإنسان – القدوة – كذلك بمعنى القائد أي تواصل إمامة محمد. إن نبوة محمد ختمت بهن أما إمامته فبدأت به

[1]- د حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، ص 117.

[2]- الكليني، الكافي، ج 2، ص 22.

[3]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص15.

وانتهـت فـي عترتـه (آل البيـت) إن الشـيعة ينكـرون مبـدأ الشـورى والبيعـة ويعتقـدون بـدلا عنـه بمبـدأ الوصـاية أمـا السـنة فينكـرون مبـدأ الوصاية ويستندون إلى الشورى في الخلافة "[1]

يـورد الشـيعة نصوصـا خاصـة فـي نظـرهم بعلـي بـن أبـي طالـب منها:

قولـه تعـالى: " إنمـا ولـيكم الله ورسـوله والـذين آمنـوا الـذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون " (المائدة/ 55)

يفسّـر الشـيعة هـذه الآيـة أن الله سـبحانه شـرك معـه الرسـول فـي الولايـة وكـذلك الـذين آمنـوا والمقصـود بهـم هنـا الإمـام علـي لنـزول الآية فيه.

وقولـه تعـالى: " إنمـا يريـد الله ليـذهب عـنكم الـرجس أهـل البيـت ويطهركم تطهيرا " (الأحزاب/33)

ويفسّـر الشـيعة هـذه الآيـة علـى أن الله سـبحانه طهّـر أهـل البيـت مـن كـل خطيئـة وذنـب وهـي تشـكل دلـيلا علـى عصـمة الأئمـة وهـي دليل على عصمة إمامة علي وأولاده.[2]

وقولـه تعـالى: " قـل لا أسـألكم عليـه أجـرا إلا المـودّة فـي القربى.." (الشورى/23)

تـرى الشـيعة أن هـذا الـنص يوجـب علـى المـؤمنين مـودّة قرابـة الرسـول، ولا شـك أن وجـوب مـودّتهم ينـتج عنـه وجـوب طـاعتهم كأئمة للهدى.

قولـه عـز وجـل: " فمـن حاجـك فيـه مـن بعـد مـا جـاءك مـن العلـم فقـل تعـالوا نـدع أبناءنـا وأبنـاءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسـنا وأنفسـكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" آل عمران/

---

[1]- صالح الورداني، عقائد السنة وعقائد الشيعة .التقارب والتباعد، ط: الأولى، 1999م، مطبعة الغدير بيروت لبنان، ص 155.

[2]- المرجع الأسبق، ص 18.

تـرى الشـيعة أيضـا أن هـذا الـنص يخـص الإمـام علـي والحسـن والحسـين وفاطمـة، فـإن (أبناءنـا) الحسـن والحسـين، (ونسـاءنا) فاطمـة، (وأنفسـنا) تعنـي علـي، ممـا يـدل علـى علـو مكانـة الإمـام علـي ومساواته بالرسول الأكمل تعني كماله هو أيضا[1].

وقولـه تعـالى: " إنّمـا أنـت منـذر ولكـل قـوم هـاد " (الرعـد/ 7)، يشـير هـذا الـنص فـي نظـرهم إلـى دور الرسـول ودور الإمـام، فالرسول هو المنذر والإمام هو الهادي.

قولـه تعـالى: "والسـابقون السـابقون، أولئـك المقربـون.." (الواقعـة / 10-11)، تـرى الشـيعة أن الإمـام علـي هـو سـابق أمـة محمـد إلـى الإسلام، وهذا السبق يعطيه ميزة خاصة ترفعه فوق الجميع.

النصـوص النبويـة: تـرى الشـيعة أن هنـاك أحاديـث عديـدة للرسـول عليـه الصـلاة والسـلام تؤكـد علـى نـص إمامـة علـي بـن أبـي طالب

ويحتـل حـديثي الغـدير والمنزلـة أهميـة كبيـرة لإثبـات حـق علـي بالخلافة بعد الرسول

فحـديث الغـدير قصـته متفـق عليهـا فـي كـل المـذاهب الإسـلامية وهـي أن الرسـول لمـا رجـع مـن حجـة الـوداع نـزل بغـدير خـم وأمـر منادیـه فنـادى النـاس بالاجتمـاع، فلمّـا اجتمعـوا خطـبهم ثـم قـال: "ألسـت أولـى مـنكم بأنفسـكم" فـأعلنوا بـالإقرار، فرفـع يـد علـي بـن أبـي طالـب وقال

"فمـن كنـت مـولاه فهـذا علـي مـولاه، اللهـم وال مـن والاه، وعـاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله"

ويفسّـر الشـيعة الولايـة هنـا بمعنـى الإمامـة السياسـية وقـد وجبـت بالنص لعلي بن أبي طالب.

---

[1]- صالح الورداني، عقائد السنة وعقائد الشيعة .التقارب والتباعد، ص 161.

ويرتكــز الشــيعة علــى مفهــوم الوصــية* -فهــم يلقّبــون علــي بالوصــي- وهــي الفكـرة التــي رفضـتها كـل فـرق الإسـلام غيـر الشـيعة التــي تــرى أنــه بعـدما بلّـغ الرسـول مناسـك الحـج لـم يبـق سـوى أداء مهمــة واحــدة، مهمــة الوصــية، وهــي ليســت بــرأي مــن لدنــه، بــل بــأمر مــن الله حينمــا أنزلــت الآيــة الكريمــة: "وأنــذر عشــيرتك الأقــربين" (الشعراء/ 214).

أمــا حــديث المنزلــة فقــد روي فــي صــحيح البخــاري ومســلم والترمــذي وغيرهــا بطــرق متعــدّدة ففــي ســنة 9 هجريــة رأس النبــي غــزوة ضــد الــروم، هــدفها تبــوك واســتخلف علــي فــي غيابــه علــى المدينــة، لكــن المنــافقين أثــاروا لغطــا بقــولهم أنّ علــي تــرك هنــاك بســبب عجــزه، فشــكى علــي للنبــي ذلــك فــردّ عليــه النبــي صــلى الله عليــه وسـلم: " أمــا ترضــى أن تكــون منــي بمنزلــة هــارون مــن موســى إلا أنــه لا نبــي بعدي".

تــرى الشــيعة أن هــذا الحــديث هــو إعــلان مــن النبــي بــأن عليــا سيكون خليفته.

والإماميــة يقولــون أن الإمــام يعــيّن بالشــخص ولــيس بالوصــف، فعلــي عيّنــه النبــي وهــو يعــيّن مــن بعــده بوصــية، ويســمون بالأوصــياء، وتوضــح الشــيعة بــأن: " الأئمــة هــم الأوصــياء اســتودعهم النبــي صــلى الله عليــه وســلم أســرار الشــريعة، فالرســول مــا أوضــحها كلهــا بــل بعضــها، فبــيّن مــا اقتضــاه زمانــه وتــرك للأوصــياء أن يبيّنــوا للنــاس مــا تقتضيه الأزمنة من بعده وذلك بأمانة أودعها إياهم "[1].

يحصــر الشــيعة آل البيــت فــي ذريــة علــي، فمــا مــن رســول إلا ولــه وصــي يكــون حجــة علــى قومــه مــن بعــده كهــارون بالنســبة إلــى موســى وعلــي بالنســبة إلــى محمــد صــلى الله عليــه وسـلم، ونظــرا لكــون الرســول

[1]- عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية، ص 240.

*- الوصية: يروي الطبري أنه يقال: أن الذي لعب دورا في نسج المؤامرة على الأمة يهودي يمني دخل في الإسلام هو عبد الله بن سبأ الذي جال في الأمصار قبل إقامته في مصر وهو الذي نشر أفكارا حول رجعة النبي وحول الوصية أي الفكرة القائلة بأن عليا وريث النبي الشرعي والذي يجب أن تعود الخلافة إليه منذ البداية، لكن الشيعة يعتبرون عبد الله بن سبأ شخصية أسطورية.

محمـد خـاتم النبيـين فالحاجـة لوجـود إمـام مـن بعـده أشـد وأكثـر ضـرورة والمهمـة الأساسـية هـي إقامـة الحجـة علـى النـاس مـن بعـد وفـاة الرسـول وهـذا هـو المـراد مـن قولـه تعـالى: "يـوم نـدعو كـل أنـاس بإمـامهم.. "(الإسـراء/ 71)، تـرى الشـيعة أن هـذا الـنص موجّـه إلـى الأقوام التي سوف تأتي بعد الرسول.

" إن نظريـة الشـيعة عـن الإمامـة تعبّـر عـن جـوهر وحقيقـة المـذهب الشـيعي وعنهـا نشـأت كـل أفكـارهم السياسـية وأبحـاثهم العقائديـة بعـد أن أصبحت أحد أصول العقيدة عندهم "[1]

أمـا الأدلـة العقليـة التـي يسـتدل بهـا الشـيعة علـى إمامـة علـي بـن أبي طالب فتتمثل في:

- ✓ شـرط الإمـام أن لا يسـبق منـه معصـية والصـحابة قبـل الإسـلام كـانوا يعبدون الأصنام فلا يكونون أئمة، وعلي لم يسجد لصنم.
- ✓ الإمـام يجـب أن يكـون منصوصـا عليـه وغيـر علـي مـن الثلاثـة لـيس منصوصا عليهم.
- ✓ الإمام يجب ان يكون أفضل من رعيته وغير علي لم يكن كذلك.
- ✓ الإمامـة رئاسـة عامـة تسـتحق بالزهـد والعلـم والعبـادة والشـجاعة والإيمان وعلي هو الجامع لهذه الصفات على الوجه الأكمل.[2]

- وتشـترط الشـيعة **العصـمة** للإمـام ويسـتندون فـي هـذا علـى الآيـة الكريمة: "إني جاعلك

للنـاس إمامـا قـال ومـن ذريتـي قـال لا ينـال عهـدي الظـالمين " (البقرة/124).

" وكـذلك لا يجـوز لأحـد مـن الأئمـة (علـيهم السـلام) الاجتهـاد عنـدنا لأنهـم معصـومون، وإنمـا أخـذوا الأحكـام بتعلـيم الرسـول (عليـه

[1]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص19.

[2]- صالح الورداني، عقائد السنة وعقائد الشيعة .التقارب والتباعد، ص 159.

السـلام) وأمـا العلمـاء فيجـوز لهـم الاجتهـاد باسـتنباط الأحكـام مـن العمومات، في القرآن والسنة، وبترجيح الأدلة المتعارضة "[1]

والرسـول معصـوم لا يوصـي إلا لمعصـوم مثلـه ليـنجح فـي حفـظ الـدّين وإقامـة الحجـة علـى النـاس يقـول العلامـة الحلـي: " ذهبـت الإماميـة إلـى أن الأئمـة كالأنبيـاء فـي وجـوب عصـمتهم عـن جميـع القبـائح والفـواحش مـن الصـغر أو المـوت عمـدا أو سـهوا، لأنهـم حفظـة الشـرع والقوامـون بـه حـالهم فـي ذلـك حـال النبـي ولأن الحاجـة إلـى الإمـام إنمـا هـي للانتصـاف مـن المظلـوم عـن الظـالم، ورفـع الفساد.." .[2]

ويسـتدل الشـيعة بعصـمة آل البيـت بقولـه تعـالى: " إنمـا يريـد الله ليـذهب عـنكم الـرجس أهـل البيـت ويطهـركم تطهيـرا " الأحـزاب/33، تفسـر الشـيعة معنـى ذهـاب الـرجس نفـي كـل ذنـب وخطـأ عـنهم وتـرى أن نسـاء النبـي لسـن المقصـودات فـي هـذه الآيـة فـي نظـرهم لأنهـن ذكـرن بالـذم فـي نفـس الآيـة وفـي سـورة التحـريم وهـذا يـدل علـى أنهـن لسن المقصودات بآية التطهير.[3]

- ومـن سـمات الشـيعة**التقيـة*** التـي تميّـزهم عـن غيـرهم مـن الفـرق الإسلامية

والتقيـة والتقـاة بمعنـى واحـد قـال تعـالى: " إلا أن تتقـوا مـنهم تقـاة"(آل عمران/ 28).

يمكـن العمـل بالتقيـة كمـا فعـل عمـار بـن ياسـر الـذي أعلـن الكفـر أمـام الأعداء وقلبه مطمئن بالإيمان

1- السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ص 24.

[2]- صالح الورداني، عقائد السنة وعقائد الشيعة .التقارب والتباعد، ص 166.

[3]- المرجع نفسه، ص 175.

***- إن تبرير اعتماد الشيعة على مبدأ التقية يعود إلى الاضطهاد الذي تعرضوا له – بعد فشل ثورة الحسين بن علي – خلال الخلافتين الأموية والعباسية ويرى مؤرخي الشيعة المتأخرين أن التقية لا تجوز في ترويج الباطل والنفاق وقتل النفس.**

وقـد عـرّف الشـيخ المفيـد التقيـة بأنهـا " كتمـان الحـق وسـتر الاعتقـاد فيـه ومكاتمـة المخـالفين وتـرك مظـاهرتهم بمـا يعقـب ضـررا فـي الـدين أو الدنيا.. فمتى لم يعلم ضررا بإظهار الحق ولا قوي في الظن ذلـك لـم يجـب فـرض التقيـة "[1]، اعتبـروا التقيـة جـائزة فـي الـدين عنـد الخوف على النفس.

وينسـب إلـى الإمـام الصـادق قولـه: "التقيـة دينـي وديـن آبـائي" و "مـن لا تقيـــة لـــه لا دين له"

كمـا ينسـب قـول لعلـي بـن أبـي طالـب: " التقيـة مـن أفضـل أعمـال المـؤمن، يصـون بهـا نفسـه وإخوانـه عـن الفـاجرين، وقضـاء حقـوق الإخـوان أشـرف أعمـال المتقـين، يسـتجلب مـودة الملائكـة المقـربين وشوق الحور العين".[2]

ويطلـق الشـيعة اسـم **الغيبــة** عـن فتـرة اسـتتار المهـدي عـن أنظـار النـاس وعـدم تمكـن الاتصـال بـه حتـى أصـبحت علمـا، وقسّـموها مـن ناحية تاريخية إلى قسمين

1- الغيبـة الصـغرى، وتشـمل حقبـة الـتمكن مـن الاتصـال بالإمـام عـن طريـق وكلائـه وابتـدأت مـن سـنة 260 ه إلـى سـنة 329 ه أي حـين وفـاة الإمـام العسـكري إلـى غايـة وفـاة آخـر وكـلاء الإمـام المهـدي وهـو المعروف بالسمري.

2- الغيبـة الكبـرى وتشـمل زمـن عـدم الـتمكن مـن الاتصـال بالإمـام ويـرون أن الإمـام المهـدي هـو المصـلح المنتظـر الـذي سـيحقق الله تعـالى علـى يديـه حكمـه العـادل ويصـبح الـدين الإسـلامي هـو النظـام الوحيـد للبشـرية. ويـروون عـن النبـي أنـه قـال: " المهـدي مـن ولـدي اسـمه وكنيتـه كنيتـي، أشـبه النـاس بـي َخلقـاو ُخلقـا، تكـون لـه غيبـة وحيـرة

[1]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص 162.
[2]- المرجع نفسه، ص 64.

تضـل فيـه الأمـم، ثـم يقبـل كالشـهاب الثاقـب فيملأهـا عـدلا وقسـطا كمـا ملئت ظلما وجورا ".[1]

والشـيعة كلهـا تـؤمن بمبـدأ **الرجعـة** وهـو زمـان رجـوع الإمـام الغائـــب " المهـدي " والسـاعة لا تقـوم حتـى يخـرج المهـدي ويسـتلم الحكـم مناصـري أهـل البيـت ويمـلأ الإمـام المهـدي الأرض عـدلا بعـدما ملئـت جـورا ويسـتندون بحـديث للرسـول فـي هـذا الشـأن " لا تـذهب الـدنيا حتـى يقـوم بـأمر أمتـي رجـل مـن ولـد الحسـين يمـلأ الـدنيا عـدلا كمـا ملئت ظلما ".[2]

[1]- عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة. الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية، ص 213، 214.
[2]- المرجع السابق، ص 241.

فرق الشيعة:

تطـور مفهـوم الشـيعة وانقسـموا حتـى بلغـوا أربـع عشـرة فرقـة بعـد وفـاة الإمـام الحـادي عشـر، وانـدثر أغلبهـا وبقيـت منهـا ثـلاث فـرق: الزيديـة والإسـماعيلية والشـيعة الإماميـة (الاثنـي عشـرية) وهـم الطائفة الأبرز التي تقابل بالتضاد أهل السنة والجماعة.

الشـيعة الإثنـا عشـرية: ويطلـق عليهـا اسـم الجعفريـة كمـا يطلـق عليهـا اسـم الإماميـة وأحيانـا الاثنـي عشـرية لأنهـم يؤمنـون بوجـود اثنـي عشـر إمامـا كلهـم مـن ذريـة فاطمـة الزهـراء هـم: " علـي بـن أبـي طالـب، ثـم ابنيـه الحسـن والحسـين، ثـم علـي زيـن العابـدين بـن الحسـين، ثـم محمـد بـن علـي وعلـي بـن محمـد، وجعفـر بـن محمـد، وموسـى بـن جعفـر، وعلـي بـن موسـى، ومحمـد بـن علـي، وعلـي بـن محمـد، والحسـن بـن علـي، ومحمـد بـن الحسـن "[1]*وجـاءت تسـمية الاثنـي عشـرية بعـد أن انقسـمت الشـيعة إلـى فـرقتين، بعـد الإمـام السـادس جعفـر الصـادق (ت 148) الأولـى قالـت بالإمامـة فـي إسـماعيل وأولاده فسـموا الإسـماعيلية، وفرقـة قالـت أن الإمامـة انتقلـت إلـى ابنـه موسى الكاظم وتوقفوا عند الإمام الثاني عشر وآمنوا بغيبته

ويـذكر الشـيعة حسـب مصـادرهم أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم حـدّد عـدد الأئمـة بـاثني عشـر مـع تقـديم أسـمائهم وتعيـين أوصـافهم أولهـم الإمـام علـي وآخـرهم المهـدي المنتظـر الغائـب منـذ 329 ه ويسـتندون إلـى الحـديث الـذي يوردونـه بصـيغ مختلفـة منهـا: " الأئمـة مـن بعـدي اثنـا عشـر، أولهـم أنـت يـا علـي وآخـرهم القـائم الـذي يفـتح الله عـز وجـل على يديه مشارق الأرض ومغاربها ".[2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 241.

*- لكل إمام من هؤلاء لقب عرف به وهي على الترتيب: علي المرتضى، والحسن المجتبي، والحسين الشهيد، وعلي زين العابدين السجاد، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا ومحمد الجواد النقي، وعلي الهادي التقي، والحسن العسكري الزكي، ومحمد المهدي القائم بالحجة.

[2]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص 12.

وأول مـن أشـار إلـى عـدد الأئمـة هـو سـليم بـن قـيس الكـوفي فـي كتابـه المعـروف بالسـقيفة والـذي يعـد أهـم المصـادر التـي يتناقلهـا الشيعة عن مصداقية عدد أئمتهم.

1)علـــــي (ت662)".[1]

(2)الحسن (ت669) 3)الحسين (680)

زيد 4)علي زين العابدين (712م)

5)محمد الباقر (731م)

6)جعفر الصادق (765م)

7) موسى الكاظم (799م)

8) علي الرضا (818م)

9) محمد جواد (835م)

10) علي الهادي (868م)

11) الحسن العسكري (874م)

12) محمد المنتظر المهدي(اختفى 878م)

[1]- لائحة تظهر الأئمة الاثني عشرية وتسلسلهم الزمني.

الإسماعيلية:

هــي إحــدى الفــرق الشــيعية الرئيســية الــثلاث نشــأت بعــد وفــاة جعفــر الصــادق حيــث اختلــف الشــيعة فــي انتقــال الإمامــة فقالــت الإسـماعيلية بانتقالهـا إلـى محمـد بـن إسـماعيل بـن جعفـر الصـادق بـدلا مـن الإمـام السـابع للشـيعة الاثنـي عشـرية موسـى بـن جعفـر الصـادق سنة 148ه/ 756م

تشـترك الإسـماعيلية مـع الاثنـي عشـرية فـي قضـية الإمامـة لكنهـا تعتـرف بالأئمـة السـتة فقـط ويعتبـرون الإمامـة فـي أولاد إسـماعيل بـن جعفـر الصـادق الـذي تـوفي فـي زمـن أبيـه (ت145ه/ 762م) فإسـماعيل هـو الإمـام السـابع لأنـه الأكبـر بـدلا مـن أخيـه الأصـغر موسـى الكـاظم (ت 183ه/ 799م).

وتعـرف الإسـماعيلية "بالسـبعية" فـدورة الأئمـة عنـدهم سـبعة انتهـت الـدورة الأولـى بإسـماعيل بـن جعفـر الصـادق، وبـدأت معهـا دورة جديـدة تتكـون مـن سـبعة أئمـة هـم الأئمـة المسـتورين، وهكـذا تستمر الدورة عندهم دون عدد.

وتتمثل أفكار الإسماعيلية حول الإمامة فيما يلي:

- ✓ تعتقـد الإسـماعيلية بـأن اسـماعيل بـن جعفـر الصـادق لـم يمـت بـل أخفـاه أبـوه تقيـة وهـم ينتظـرون عودتـه باعتبـاره المهـدي المنتظـر الـذي يقـيم العدل.
- ✓ وجود نوعين للإمامة، فالإمام إما أن يكون ظاهرا أو مستورا
- ✓ التأويـل: تعتقـد الإسـماعيلية أن القـرآن والسـنة لهمـا معنـى بـاطن غيـر المعنى الظاهر.

التنظـيم السـري: علاقـة الإمـام بأنصـاره تعتمـد علـى السـرية، كـذلك الأنصار ينشرون عقائدهم بين الناس في السر".[1]

قائمة الأئمة الإسماعيلية[2]

[1]- المرجع السابق، ص 32، 33.

[2]- تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الإثني عشرية في عصر الغيبة، فاخر جاسم، ص160.

التسلسل	الإمام	سنة الوفاة
1	**علي بن أبي طالب**	ت 40 هـ
2	**الحسين بن علي بن أبي طالب**	ت 61 هـ
3	**علــي زيــن العابــدين بــن الحســين بن علي**	ت 94 هـ
4	**محمد الباقر بن علي بن الحسين**	ت 113 هـ
5	**جعفر الصادق بن محمد بن علي**	ت 148 هـ
6	**إسماعيل بن جعفر الصادق**	ت145هـ/أو158هـ
7	**محمد بن إسماعيل**	ت 197 هـ
8	**محمد الوافي**	ت 213 هـ
9	**محمد التقي**	ت 225 هـ
10	**عبد الرضي الدين**	ت 262 هـ
12	**محمد المهدي**	ت 322 هـ
13	القائم بأمر القاسم	ت 333 هـ
14	المنصور إسماعيل	ت 341 هـ
15	المعز لدين الله أبو تميم	ت 365 هـ

الزيدية:

تخلـى زعمـاء الشـيعة عـن النظـام السياسـي المباشـر ضـد السـلطة الأمويـة إلا أن الإمـام زيـد بـن علـي رفـض سياسـة المهادنـة فخطـط للقيـام بثـورة ضـد الخلافـة الأمويـة عـام 121ه/738م والتـي انتهـت باستشهاده.

وجـاءت تسـمية الزيديـة علـى الجماعـة التـي خرجـت مـع زيـد بـن علـي بـن الحسـين بـن علـي بـن أبـي طالـب، وسـاهمت الزيدية في العودة إلى النشاط العلني ضد السلطة الأموية.

وأهـم الآراء التـي تختلـف فيهـا الزيديـة مـع الشـيعة الاثنـي عشرية والتي كانت سببا في افتراقها عنها نذكر:

- ✓ عـدم حصـر الإمامـة فـي أولاد الحسـين بـل إنهـا تشـمل أولاد الحسـن والحسـين، وهـذا خـلاف الشـيعة الاثنـي عشـرية الـذين يشـترطون الإمامة في أولاد الحسين فقط.
- ✓ الاعتقاد بالشورى لاختيار الخليفة.
- ✓ اعتبـار الـدعوة مـن شـروط الإمـام (رفـض زيـد بالاسـتمرار فـي التقيـة)
- ✓ الإمامـة بالوصـف ولـيس بـالتعيين والـنص، لـذلك تـرفض الزيديـة الوصية والعصمة للإمام.
- ✓ جواز وجود إمامين في نفس الوقت وجب طاعة كل واحد منهم.
- ✓ جـواز مبـدأ إمامـة المفضـول علـى الفاضـل " قبـل زيـد بـن علـي إمامـة أبـي بكـر وعمـر علـى الـرغم مـن اعتقـاده بـأن الإمـام علـي كـان الأفضـل ولكـن إجمـاع المسـلمين علـى اختيـار أبـي بكـر وعمـر خليفتـين جوز قبول المفضول على الأفضل"[1]

يتبـيّن ممـا سـبق أن الإمامـة عنـد الشـيعة ضـرورة واجبـة بعـد النبـوة فالرسـول خصّـها لعلـي فأصـبحت فـي ذريتـه إلـى يـوم الـدين، لـذا

[1]- المرجع السابق، ص 31 .

رفضـوا فكـرة انقطـاع الزمـان الإلاهـي، فـالنبوة نقطـة ابتـداء والإمامـة نقطــة انتهــاء وكلاهمــا مــن أصــل إلاهــي ودورهمــا ربــط الســماوي بالأرضي.

وهــذه النتيجــة هــي إحــدى ركــائز الإيمــان عنــد الشــيعة الإماميــة وغيرها.

تمهيد:

يـرى الشـيخ زكريـا داوود أن الفكـر الفلسـفي فـي بدايـة القـرن الحـادي عشـر هجـري نشـط علـى يـد صـدر المتـألهين الشـيرازي مـن خـلال كتابـه (الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة)

ويعتبـر الشـيرازي خاتمـة حكمـاء الشـيعة، وتتمثـل خلفيتـه الفكريـة والعقائديـة مـن خـلال كتابـه (شـرح أصـول الكـافي) التـي بينـت موقفـه مـن قضية الإمامة الإلاهية.

والشـيرازي مـن فلاسـفة الشـيعة الـذين اهتمـوا بالتأويـل حيـث يـرى أن لكـل ظـاهر بـاطن، وهـو يسـتند فـي ذلـك إلـى النصـوص التأسيسـية للتـراث الشـيعي الإمـامي الـذي يسـتمد مشـروعية تنصـيب الإمـام مـن نـص ثابت يؤول عن القرآن أو منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكـن مـع غيبـة الإمـام المهـدي آخـر أئمـة الشـيعة لجـأ فقهـاء الشـيعة إلـى تـدوين عقائـدهم لتجنـب انـدثار حـركتهم، وقـد أدت الظـروف المحيطـة بحركـة الشـيعة إلـى ظهـور بـوادر التفكيـر السياسـي الـواقعي والتخلـي عـن شرعية النص الإلاهي في تعيين إمام المسلمين.

وانتقلـت وظيفـة الإمـام المعصـوم إلـى نظريـة ولايـة الفقيـه فـي عصـر الغيبة بعدما تخلص الشيعة من نظرية الإمامة المعصومة.

الشيرازي والتأويل:

ينطلـق الشـيرازي* لفهـم ظـاهر القـرآن وباطنـه مـن رؤيـة كونيـة تقـوم علـى أسـاس ثلاثـة محـاور: الإنسـان والقـرآن والعـالم، فبـين هـذه المحاور الثلاثة علاقة تكامل وتماثل تصل إلى حد التطابق

فالإنسـان عـالم صـغير توجـد فيـه حقـائق العـالم بأكملهـا، والعـالم بـدوره إنسـان كبيـر، ومـن ثـم فـإن حكمهمـا واحـد " والقـرآن رديـف ثالـث للإنسـان والعـالم لا يشـذ عنهمـا فـي الحكـم فكـل الأحكـام العامـة التـي تنطبـق عليهمـا تنطبـق عليـه، فالإنسـان جـامع لحقـائق الكـون مـن جهـة وحقـائق القـرآن مـن جهـة أخـرى، والقـرآن يختـزل بـين دفّتيـه مراتـب الإنسـان وحقيقة وجوده، كما يعد تعبيرا موازيا للوجود"[1]

وهـذه العـوالم الثلاثـة (الـنفس، الآفـاق، القـرآن) هـي آيـات إلهيـة وتجليـات لأسـمائه وصـفاته وتشـترك هـذه الموجـودات بأحكـام عامـة، لكـل واحد منهما ظهرا وبطنا.

وعقّـب الشـيرازي علـى قولـه تعـالى: " الـذين يؤمنـون بالغيـب " البقـرة/ 3، وقولـه: " ولله غيـب السـموات والأرض " هـود/ 123، وقولـه سبحانه: " عالم الغيب والشهادة " الأنعام/73.

1- كمال الحيدري، أصول التفسير والتأويل، الجزء: 2، ط: 2، 2006، دار فراقد، إيران، ص 174.

***- الشيرازي: هو محمد بن إبراهيم بن يحي القوامي الشيرازي، الملقب ب " صدر الدين والمعروف في لسان العامة ب " ملا صدر "، وعند أبناء مدرسته ب " الآخوند " و " صدر المتألهين "، ولد نحو 979ه في مدينة شيراز وتوفي سنة 1045ه بالبصرة في سفره للحج.**

كان والده إبراهيم بن يحي المعروف بالقوامي أحد وزراء العهد الصفوي.

سكن عدة سنوات بقم وصنف في أكثر العلوم العقلية والنقلية، تدور معظم مباحثه حول الحكمة والعرفان، أشهر أساتذته هم: الشيخ البهائي، المير الداماد، المير الفندكسي.

خلف نحو أربعين كتابا ورسالة في عدد من العلوم والمسائل منها:

- **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**
- **المبدأ والمعاد**
- **الشواهد الربوبية في المناهج السلوكية**
- **متشابهات القرآن**
- **شرح أصول الكافي**
- **مفاتيح الغيب**
- **تفسير القرآن**

يقـول أن الله عـز وجـل أوجـد الملـك والشـهادة لقضـية اسـمها (الظـاهر) وأوجـد الملكـوت والغيـب لقضـية اسـمها (البـاطن)، ويـرى أيضا أن موجودات العالم الطبيعي والنشأة الدنيوية مثنوية.

أي أن الثنائية قانون وسنة إلهية تشمل الإنسان والقرآن والعالم.

فالإنسـان لـه ظـاهر جلـي وهـو متغيّـر، وبـاطن خفـي وهـو ثابـت هـو قلبـه وسـره، وكـذلك القـرآن يـرى الشـيرازي أن لـه ظهـرا وبطنـا كمـا للإنسان ظاهرا وباطنا.

قـال الشـيرازي وهـو يصـنف مواقـف مختلـف التيـارات مـن مقولـة الظـاهر والبـاطن " فقـد ظهـر وتبـين لـك أن لأربـاب الأفكـار التفسـيرية والأفهام القرآنية ثلاثة مقامات:

- فمـن مسـرف فـي رفـع الظـواهر كالقفـال وكثيـر مـن المعتزلـة انتهـى أمـرهم إلـى تغييـر جميـع الظـواهر فـي المخاطبـات التـي تجـري فـي الشريعة الحقة
- ومـن غـال فـي حسـم بـاب العقـل كالحنابلـة وأحمـد بـن حنبـل، حتـى منعـوا تأويـل قـول: " كـن فيكـون " وزعمـوا أن ذلـك خطـاب يعـرف وصـوت يتعلـق بهـا السـماع الظـاهري، يوجـد مـن الله تعـالى فـي كـل لحظـة بعـدد كـل متكـون، حتـى نقـل عـن بعـض أصـحابه أنـه يقـول: ُحسـم بـاب التأويـل إلا لثلاثـة ألفـاظ: قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: " الحجـر الأسـود يمـين الله فـي الأرض "، وقولـه: " قلـب المـؤمن بـين اصـبعين مـن أصـابع الـرحمن "، وقولـه صـلى الله عليـه وسـلم: " إنـي لأجد َنفس الرحمن من جانب اليمن "
- ومـن العلمـاء مـن أخـذ بعـين الاعتـذار عنـه أن غرضـه فـي المنـع مـن التأويـل رعايـة إصـلاح الخلـق وحسـم البـاب للوقـوع فـي الـرفض والخـروج عـن الضـبط، فإنـه إذا فـتح بـاب التأويـل وقـع الخلـق فـي الخرق والعمل بالرأي.
- وذهـب طائفـة إلـى الاقتصـاد فـي بـاب التأويـل ففتحـوا بـاب التأويـل فـي المبـدأ وسـدّوها فـي المعـاد، فـأوّل فـي كـل مـا يتعلـق بصـفات الله مـن

الرحمة والعلو والعظمة وغيرها، وتركوا ما يتعلّق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيها، وهم الأشعرية – أصحاب أبي الحسن الأشعري.

- وزاد المتفلسفون والطبيعيون والأطباء فأوّلوا كل ما ورد عن الآخرة وردّوها إلى آلام عقلية روحانية ولذّات عقلية روحانية، وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس.. وهؤلاء هم المفسّرون عن حد الاقتصاد "[1]

ومن هنا طلب الشيرازي موقف وسط يقع بين جمود وتفريط الحنابلة وانحلال وإفراط المؤولة ومثل هذا الموقف لا يطلع عليه إلا الراسخون في العلم والمكاشفون الذين يدركون الأمور بنور إلهي.

كان الشيرازي موالي* لأهل البيت، يقول: إني أعلم علما يقينا أنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله كما هو أهله ومستحقه إلا بتوسط من له الاسم الأعظم وهو الإنسان الكامل خليفة الله في الخلافة الكبرى.

ويؤكد الشيرازي بضرورة الإيمان بالظاهر وتركه على حاله، أما الباطن فيحيل علمه إلى الله ورسوله والأئمة المعصومين الراسخين في العلم.

يوافق الشيرازي أهل البيت الذين لا يعتمدون على الأصول الفقهية التي ابتدعها أتباع مدرسة الخلفاء المبنية على أساس رأي المجتهدين، بل يعتمدون على الكتاب والسنة في استنباط الأحكام، انتهى الشيرازي في كتابه شرح أصول الكافي للكليني* أن الأئمة ولاة الأمر فالإمام عند أهل الحق هو من ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما يحتاج الأمة في أمر دينهم ودنياهم ويكون ممن عنده علم القرآن

1- المرجع السابق، ص 187، 188

***- موالي من الولاية: وتعني المحبة والقيادة وقبول حكومة علي واتباع علي دون غيرهم، وحب علي لأنه المثال الأسمى للعبودية، ولأن قيادته للمجتمع ستكون مصباح النجاة ولأن حكومته كانت وما تزال تمثل أمل الإنسانية.**

ظـاهره وباطنـه وتفسـيره وتأويلـه وجميـع علـوم الأنبيـاء والمرسـلين ولا يوجد هذا الوصف بعد النبي في غير عترته ممن يتولى الإمارة.

أوّلهـم علـي بـن أبـي طالـب، يقـول عنـه الشـيرازي: " وقـد ثبـت فـي الصـحاح أنـه بـاب مدينـة العلـم ودار الحكمـة.. وأنـه خيـر البشـر وخيـر الخلـق والخليقـة وأنـه سـيد العـرب ورباني هـذه الأمـة وأميـر المـؤمنين وسـيد الوصـيين.. وأنـه قـد أعطـى تسـعة أعشـار العلـم والنـاس كلهـم عشـرا واحـدا وهـو أعلمهـم بالعشـر البـاقي "[1] وهـو الـذي قـال فيـه الرسـول: " مـن كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومن كنت نبيه فعلي وليه "

أمـا ابنـاه الحسـن والحسـين فهمـا سـبطا الرسـول وسـيدا شـباب أهـل الجنـة، وأمـا علـي بـن الحسـين سـيد السـاجدين وزيـن العابـدين، لـه أنـوار حقـائق المعرفـة وأسـرار دقـائق البلاغـة مـن أخيـار العلمـاء وأحبـار العقـلاء من السلف الصالح

وأمـا أبـو جعفـر محمـد بـن علـي بـاقر سـماه رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم بالبـاقر لتبقـره وقـال إنـه يبقـر العلـم بقـرا وأنبـأ جـابر رضـي الله عنـه أنك ستدركه، قال له إذا أدركته فأقرأه مني السلام

وأمـا أبـو عبـد الله جعفـر بـن محمـد الصـادق فهـو لسـان الحـق النـاطق انفجرت منه ينابيع العلوم والحكم.

ويفسـر الشـيرازي قـول علـي بـن أبـي طالـب: " اعلمـوا أن صـحبة العـالم وأتباعـه ديـن يـدان الله بـه وطاعتـه مكسـبة للحسـنات ممحـاة للسـيئات ودخيرة للمؤمنين ورفعة فيهم في حياتهم وجميل بعد مماتهم "

يـرى الشـيرازي أن المقصـود ب (العـالم) العـالم الربـاني العـارف بحقـائق الأشـياء كمـا هـي وهـو الإمـام ويسـتفاد مـن كلامـه أن لا ديـن لغيـر

2- صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، شرح أصول الكافي، صححه: محمد خواجوي، الجزء:2، د ط، 2005، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران، ص 518.

*- الكليني: الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ولد في النصف الثاني من القرن الثالث بقرية كلين بمدينة ري الواقعة في جنوب العاصمة طهران، صاحب كتاب الكافي، أجلّ كتاب الأصول عند الشيعة
من مؤلفاته: الكافي في الأصول والفروع، كتاب الرجال، كتاب رسائل الأئمة، كتاب تعبير الرؤيا، موسوعة شعرية في مناقب وفضائل أهل البيت.

العـالم الربـاني إلا اتباعـه وتقليـده وإن طاعتـه عـين طاعـة الله، لأن الإمـام هو القائد البصير.

ويـروي حـديث نبـوي لرسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: " مثـل أهـل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق "

ويـروي عـن الحسـين بـن أبـي العـلاء قـال: " قلـت لأبـي عبـد الله (عليـه السـلام): الأوصـياء طـاعتهم مفترضـة؟ قـال نعـم هـم الـذين قـال الله عـز وجـل: " أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولـي الأمـر مـنكم " (النسـاء/ 59)، وهـم الـذين قـال الله عـز وجـل: " إنمـا ولـيكم الله ورسـوله والـذين آمنـوا الـــذين يقيمـــون الصـــلاة ويؤتـــون الزكـــاة وهـــم راكعون "(المائدة/ 55)

واسـتدل علـى أن الأوصـياء طـاعتهم مفترضـة بهـاتين الآيتـين: الآيـة الأولـى، المـراد بـأولي الأمـر الـذين أمـر الله بطـاعتهم بعـد الله ورسـوله الأوصياء وأئمة الدين وأن طاعتهم واجبة

والآيـة الثانيـة نزلـت فـي أميـر المـؤمنين علـي بـن أبـي طالـب فكلمـا ثبـت لله ورســـوله مـــن الولايـــة فهـــو ثابـــت لعلـــي بـــنص القـــرآن.[1] فالوصـي طاعتـه واجبـة كطاعـة النبـي وكـذلك الأمـر فـي سـائر الأوصـياء والأئمة الطاهرين

ويسـتدل علـى ذلـك بقـول النبـي: " لا يـزال أهـل الإسـلام بخيـر مـا وليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش "

ويفسّـر الشـيرازي قولـه تعـالى: " لـو كنـا نسـمع أو نعقـل مـا كنـا فـي أصـــحاب السعير " (الملك/ 10)

دلّـت الآيـة علـى أنـه مـن لـيس بعـالم ولا مـتعلم فهـو مـن أصـحاب النـار فانقسـم النـاس إلـى ثلاثـة أقسـام: العـالم وهـم الأئمـة، والمـتعلم وهـم الشـيعة

1- المرجع السابق، ص 581، 582.

2- صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي، تفسير القرآن الكريم سورة يس، د (ط، ت)، انتشارات بيدار، ايران قم، ص 38.

والأتبـاع، والبـاقي وهـم الهمـج الرعـاع. قـال الصـادق: (النـاس علـى ثلاثـة أصـناف: عـالم ومـتعلم وغثـاء، فـنحن العلمـاء وشـيعتنا المتعلمـون وسـائر الناس غثاء)

وفـي قولـه تعـالى: " الله يصـطفي مـن الملائكـة رسـلا ومـن النـاس إن الله سـميع بصـير يعلـم مـا بـين أيـديهم ومـا خلفهـم وإلـى الله ترجـع الأمـور " (الحـــج/ 75. 76)

يقـول الشـيرازي أن المصـنفين مـن النـاس يكـون رسـل وغيـر رسـل كالأوليـاء والأوصـياء، وكـل نبـي وإمـام شـهيد علـى قومـه: " وهـذا كمـا لأميـر المـؤمنين وخليفـة لرسـول رب العـالمين بـنص مـن الله لأجـل كرامتـه فـي نفسـه وقربـه مـن الله بحسـب التابعيـة، كمـا يـدل عليـه أحاديـث كثيـرة مثـل قولـه صـلى الله عليـه وآلـه: " أنـا وعلـي مـن نـور واحـد " وقولـه: لا تسـبوا عليا فإنه ممسوس بنور الله ".[1]

ويـروي لعلـي بـن أبـي طالـب قولـه: " إن الله طهرنـا وعصـمنا وجعلنـا شـهداء علـى خلقـه وحجتـه فـي أرضـه وجعلنـا مـع القـرآن وجعـل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا"

وقـال: " إن الله عـز وجـل خلـق النبيـين علـى النبـوة فـلا يكونـون إلا أنبيـاء، وخلق الأوصياء على الوصية فلا يكونون إلا أوصياء "[2]

فالإمامـة جعلـت فـي آل رسـول الله عليـه و(علـيهم السـلام)، ولـو لـم يخـتم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم لكانوا أنبياء.

فالأئمـة هـم الهـداة يقـول تعـالى: " إنمـا أنـت منـذر ولكـل قـول هـاد "(الرعد/7)، بمعنى أن كل إمام هاد للقرن الذي هو فيه.

وقولـه تعـالى: " ومـا يعلـم تأويلـه إلا الله والراسـخون فـي العلـم يقولـون آمنـا بـه كـل مـن عنـد ربنـا ومـا يـذكر إلا أولـو الألبـاب " آل عمـران/

1- صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، شرح أصول الكافي، صححه: محمد خواجوي، الجزء:1، د ط، 2005، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران، ص208.

،يقـول الشـيرازي الراسـخين فـي العلـم هـم الأئمـة (علـيهم السـلام) فـلا بـد في كل زمان من واحد منهم.

أمـا عـن التقيـة يـروون قـول لعلـي: " التقيـة وضـدها الإذاعـة " وقوله: " إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له "

والتقيـة هـي أن يقـي أحـد نفسـه مـن اللائمـة أو مـن العقوبـة بمـا يظهـر وإن كـان علـى خـلاف مـا يضـمر، وهـي صـفة حسـنة جـائزة إلـى يـوم القيامـة وربمـا كانـت واجبـة ويفسـر أبـي عبـد الله قولـه تعـالى: " أولئـك يؤتـون أجـرهم مـرتين بمـا صـبروا ويـدرؤون بالحسـنة السـيئة ومممـا رزقنـاهم ينفقـون " قـال: بمـا صـبروا علـى التقيـة، (ويـدرؤون بالحسـنة السـيئة)، قـال: الحسنة التقية والسيئة الإذاعة

وقـال: التقيـة مـن ديـن الله، ولقـد قـال يوسـف: " إنكـم لسـارقون " (يوسـف/ 70)، والله مـا كـانوا سـرقوا شـيئا، ولقـد قـال إبـراهيم: " إنـي سـقيم " (الصـافات/ 89)، والله ما كان سقيما.

فالتقيـة مـن مكـارم الأخـلاق، والإذاعـة (الإشـاعة) ضـدها فيكـون مـن مسـاوئ الأخـلاق، والله عـز وجـل عيّـر أقوامـا بالإذاعـة فـي قولـه: " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به " (النساء/83).[1]

يقـول الشـيرازي عـن أئمـة أهـل البيـت أنهـم أهـل الحـق واليقـين المقتبسـين أنـوار الحكمـة والـدين مـن مشـكاة النبـوة وأن الله كشـف لهـم حقـائق الملـة والشـريعة وأسـرار الكتـاب والسـنة، واتبعـوا بـه سـبيل حجـج الله الناطقـة وبراهينـه السـاطعة مـن الـذوات المقدسـة والنفـوس المطهـرة الـذين طهـرهم الله بـه عـن نزعـات الشـياطين تطهيـرا ونـوّر بـواطنهم بـأنوار الولايـة والقـرب فاهتـدوا إلـى أسـرار العلـم واليقـين وأدركـوا ببصـائرهم أنوار الكتاب المستبين.

2- المرجع السابق، ص 511.

الفكر السياسي الإمامي المعاصر والتأويل:

بعد مرور مدة طويلة على غيبة (الإمام الثاني عشر) وانقطاع الاتصال ب " مصدر العلم الإلاهي " وحدوث مسائل جديدة بدأ موقف الإمامية يتغير واضطر لفتح باب الاجتهاد والقول بجواز القياس، وأول من قال بذلك الحسن بن عقيل العماني المعاصر للكليني، ثم جاء الشيخ المفيد في بداية القرن الخامس هجري ليمارس الاجتهاد مع تلميذيه السيد مرتضى والشيخ الطوسي ويؤسسوا بذلك المدرسة الأصولية*.

فتح باب الاجتهاد عند الشيعة الإمامية بعدما منعوا اللجوء إلى الطرق الضنية كالقياس والاجتهاد لمعرفة الأحكام الشرعية لأن التشريعي كان محصورا بالأئمة المعصومين الذين يرتبطون بمصادر العلم الإلاهي الحقيقي.

وأعيد النظر في كثير من أبواب الفقه التي كانت معطلة بسبب نظرية الغيبة وملاحقة التطورات والإجابة على المسائل الحادثة " كما أدى إلى حدوث تطورات جذرية في الفكر الإمامي والتخلي عن اشتراط العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية في الإمام، والقول بجواز الحكومة لغير المعصوم أو وجوبها، واستنباط نظرية (ولاية الفقيه) وغيرها من النظريات التي أعادت الشيعة إلى مسرح الحياة ".[1]

لكن تطور نظرية (النيابة العامة للفقهاء) إلى نظرية سياسية في عهد قيام الدولة الصفوية أدى إلى حدوث انشقاق في المجتمع الشيعي الاثنا عشري، وهو ما عرف بالصراع الإخباري*- الأصوليالذي امتد عدة قرون وهو صراع بين المحافظين والمجدّدين، بين الخط الإمامي

1- أحمد كاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط: 5، 2007، الدار العربية للعلوم، بيروت، ص 210.

*-الأصولية: وهم غالبية الشيعة اليوم.. بدأ انتشارهم أيام الدولة الصفوية حيث اضطهدوا غيرهم من الإخبارية بالقوة، ولهم نفوذ كبير اليوم، فإيران اليوم جل شيعتها تقريبا من الأصوليين، وانتقلت للعراق وبعد الثورة الإيرانية انتقلت لأغلب الأقطار الخليجية والعربية والإسلامية، وهي النسبة الأغلب لشيعة البحرين، وأهم مراجع الأصوليين في الوقت الحالي:

- السيستاني: وهو إيراني الجنسية والمنشأ، ويعد أبرز المراجع وينسب إليه أغلب شيعة البحرين.
- مرشد الثورة الحالي الخامنئي: وهو المرجعية الرئيسية للإيرانيين، وأتباعه قلة في البحرين والخليج.

المتمسّـك بنظريـة الانتظـار وبـين الخـط الشـيعي المتحـرر مـن شـروط الإمامة المتصلبة كالعصمة والنص وكذا نظرية الانتظار.

فـالفكر الإمـامي يحصـر مهمـة الإمامـة فـي الأئمـة المعصـومين المعينـين مـن قبـل الله ويعطـيهم مهمتـين رئيسـيتين همـا: التشـريع والتنفيـذ وقيـادة المسـلمين وعنـدما لجـأ بعـض العلمـاء فـي القـرن الخـامس هجـري إلـى فـتح بـاب الاجتهـاد اعتبـر الإخبـاريون (الإمـاميون القـدماء) اللجـوء إلـى الاجتهاد خروجا عن الخط الإمامي.[1]

نظرية ولاية الفقيه:

شـهد القـرن الثالـث عشـر هجـري بعـد سـقوط الدولـة الصـفوية تطـور نظريـة (النيابـة العامـة) وطرحهـا فـي إطـار جديـد تحـت عنـوان "ولايـة الفقيـه" الشـيخ أحمـد بـن محمـد مهـدي النراقـي (تـوفي 1245 ه) حيـث قـال بضرورة الإمامة في عصر الغيبة، وحصر الإمامة في الفقهاء.

ومنـه تعتبـر نظريـة النراقـي حـول ولايـة الفقيـه تطـورا جـذريا فـي الفكر الشيعي السياسي نحو التحرر من نظرية الإمامة الإلاهية.

أمـا الإمـام الخمينـي فقـد تحـدث عـن موضـوع الإمامـة فـي عصـر الغيبـة فـي نظريـة (ولايـة الفقيـه) قـال: "أمـا فـي زمـن الغيبـة فالولايـة

***- الإخبارية: هي مدرسة شيعية جعفرية اثنا عشرية إلا أنها تتخذ في استنباط الأحكام فقط من القرآن الكريم وما ذكر أو ما خبّر عن النبي محمد وآل البيت، وهم يحرمون الاجتهاد . وسموا بالإخباريين لأنهم يقتصرون في معرفتهم للأحكام الشرعية على الأخبار أو الروايات الواردة عن أهل البيت، وأسقطوا الاستدلال بالمصادر الإجماع والعقل**

وهم قلة في الوقت الحالي يعني أصحاب هذا التيار من الاضطهاد والتهميش من الأصوليين.

أهم معتقداتهم:

- تحريم العمل السياسي وإقامة الدولة الشيعية، وهم يعارضون منهج ولاية الفقيه

- تحريم الاجتهاد، ومن أصول مذهبهم الرجوع للمراجع الشيعية الرئيسية القديمة وهي أربعة مراجع: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، ويصحّحون أحاديثها رغم خرافتها وأخطائها كما يتميز أصحابها بالشدة والغلو والانطواء والعزلة.

وهم ينتشرون في كل مكان يتواجد فيه الشيعة وخصوصا الإحساء والقطيف والعراق وإيران والكويت والبحرين، أما الآن فقلّ عددهم ولا يزال يقل، ومن أهم مراجعهم الرئيسية في العصر الحديث، الشيخ يوسف آل عصفور البحراني، والشيخ محمد أمين زين الدين، وأبرز قياديهم اليوم الكويتي حسين الفهيد.

1- المرجع السابق، ص 219.

والحكومـة، وإن لـم تجعـل لشـخص خـاص لكـن يجـب بحسـب العقـل والنقـل أن تبقيـا بنحـو آخـر، لمـا تقـدم مـن عـدم إمكـان إهمـال ذلـك، لأنهمـا ممـا يحتـاج إليـه العمـل الإسـلامي.. والعلـة متحققـة فـي زمـن الغيبـة ومطلوبيـة النظام وحفظ الإسلام معلومة لا ينبغي لذي مسكة (عقل) إنكارها " .[1]

3- المرجع السابق، ص 221.

إشكالية انتقال وظيفة الإمام المعصوم إلى الفقيه؟

بعد الغيبة الكبرى توقف المشروع السياسي للإمامة المعصومة بانتظار عودة الإمام المستتر الثاني عشر*، وقد استنبط الفقهاء صيغة للتعايش مع الوضع القائم فرأوا بضرورة نصب الفقيه حاكما شرعيا " استنادا إلى المبادئ الشرعية التي وضعها الأئمة المعصومون، والقواعد العامة في الشريعة، والاندماج في المجتمع السياسي مع الاحتفاظ بالهوية الخاصة لخط الإمامة المعصومة في الحياة اليومية والعامة "[1]

فانتقلت وظيفة الإمام المعصوم إلى الحاكم الفقيه من دون أن يعني ذلك انتقال العصمة له.

ولاية الفقيه:

شهد تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة ظهور ثلاث نظريات للحكم وهي:

1- نظرية ولاية الفقيه، أول من نادى بها الملا أحمد مهدي النراقي في القرن التاسع عشر

وتطورت مع الإمام الخميني، فغياب النص في تعيين الحاكم في الزمان الراهن جعلت الخميني يبحث عن منهجية لإقامة حدود الله والذي يقوم بها في عصر الغيبة هو الفقيه الذي يتصف بالعدل والعلم، وهو الحاكم الشرعي والحجة على الناس والمرجع في جميع الأمور والقضايا، إنه اجتهاد عقلي في بلورة مقولة (ولاية الفقيه) وهو اجتهاد عقلي لضمان استمرار الخط الإلاهي الإسلامي على الأرض.

---

[1]- د حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، ص 437 .

*- كان الشيعة يشكلون حزب الإمام علي بن أبي طالب في مقابل حزب معاوية والأمويين وفي القرن الأول هجري لم يكونوا يعرفون نظرية الإمامة الإلاهية القائمة على العصمة والنص، حيث كانوا يؤمنون فقط بأحقية أهل البيت بالحكم والخلافة من الأمويين، وعندما اختلف أهل البيت في القرن الثاني الهجري نشأ فريق من الشيعة يؤمن بإمامة وخلافة العلوية الحسينية الموسوية إلى يوم القيامة ولكن هذه النظرية وصلت إلى طريق مسدود مع وفاة الإمام الحسن العسكري سنة 260 ه مما أدى إلى اختلاق قصة وجود ولد مستور وغائب، ظل فريق من الشيعة ينتظرون خروجه لأكثر من ألف عام، كان هذا الانتظار سبب في عزلتهم عن مسرح الحياة وهو ما اضطرهم في نهاية الأمر إلى تأسيس فرضية (النيابة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب) وتطويرها بعد ذلك إلى نظرية (ولاية الفقيه).

يقـول الخمينـي: " إن ولايـة الفقهـاء المطلقـة هـي نفـس الولايـة التـي أعطاهـا إلـى نبيـه الكـريم صـلى الله عليـه وسـلم والأئمـة (علـيهم السـلام) وهـي مـن الأحكـام الإلاهيـة ومتقدمـة، ولا تتقيـد صـلاحياتها في إطار هذه الأحكام "[1]

حيـث أضـاف لهـا أبعـادا سياسـية وطبقهـا فـي الظـروف المعاصـرة وتقوم على قاعدتين:

أ- ولايـة الفقيـه امتـداد للنبـوة والإمامـة المعصـومة أوامرهـا مقدسـة غير قابلة للنقد والنقض

ب- سلطة مطلقة، غير ملتزمة بقوانين معينة.

2- النظريـة الدسـتورية (ولايـة الأمـة): ظهـرت هـذه النظريـة فـي عصـر النهضـة، تأسسـت فـي بدايـة القـرن العشـرين فـي إيـران والعراق.

تقوم هذه النظرية على الأسس التالية:

- ✓ ضـرورة وجـود دسـتور يـنظم العلاقـة بـين أفـراد المجتمـع وبـين الدولة.
- ✓ من واجبات الحكومة رعاية حقوق الإنسان والسعي لتحقيقها
- ✓ مساواة جميع المواطنين أمام القانون
- ✓ قبول حكم الأكثرية
- ✓ الإشـراف والرقابـة علـى عمـل الحكومـة مـن قبـل مجلـس نيـابي منتخب من الشعب
- ✓ دور الفقهاء إرشادي توجيهي وليس تقريري.

وتـدعو هـذه النظريـة إلـى إقامـة الدولـة فـي عصـر الغيبـة بنـاء علـى قاعـدة ولايـة الأمـة علـى نفسـها أي أن حـق الولايـة يرجـع إلـى الأمـة التـي تختـار أي فـرد منهـا سـواء كـان فقيهـا أو غيـر فقيـه، وتقـوم علـى شـروط منها تمتع الحاكم بالأمانة والكفاءة والتقوى.

[1]- المرجع السابق، ص 151.

3- نظريـة الانتظـار السـلبي: وهـي سـائدة عنـد أغلـب فقهـاء الشـيعة الاثنـي عشـرية فـي عصـر الغيبـة حتـى العصـر الحاضـر وتقـوم هذه النظرية على مبدأين :

- مفهوم الولاية الجزئية للفقهاء
- التـدخل المحـدود بالشـأن السياسـي العـام، بـدون الـدخول فـي المواقف السياسية اليومية.

وتبقـى مسـيرة الفكـر السياسـي الشـيعي متواصـلة لبنـاء نظـام سياسـي أكثـر حريـة وعـدلا، فبعـد تخلـيهم عـن نظريـة الإمامـة التـي وصـلت إلـى طريـق مسـدود فـي القـرن الثالـث هجـري أسسـوا فرضـية النيابـة العامـة ثـم نظريـة الولايـة العامـة المطلقـة للفقهـاء، إلا أنهـم رفضـوهما وقـالوا بمبـدأ الشورى وولاية الأمة على نفسها.

خاتمة:

ظهـر صـراع التأويـل بـين الجماعـات الإسـلامية بعـد وفـاة الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام، فكـان أول خلافـاتهم حـول قضـية الخلافـة أو الإمامـة، فظهـرت طوائـف المسـلمين الكبـرى (السـنة والشـيعة) التـي تختلف موضوعيا حول هذه القضية.

فتعـددت الآراء حـول الممارسـة السياسـية وذهـب كـل فريـق مـذهبا معينـا وصـار لكـل فريـق أنصـار تنـادي بـه وتتعصـب لـه وهـو مـا أدى إلـى جـدال فكـري أو صـراع سياسـي واجتمـاعي علـى السـلطة تحـت سـتار الدين.

واختلـف الفـريقين فـي تأويـل الآيـة القرآنيـة: " هـو الـذي أنـزل عليـك الكتـاب منـه آيـات محكمـات هـنّ أم الكتـاب وأخـر متشـابهات، فأمـا الـذين فـي قلـوبهم زيـغ فيتّبعـون مـا تشـابه منـه ابتغـاء الفتنـة وابتغـاء تأويلـه ومـا يعلـم تأويلـه إلا الله والراسـخون فـي العلـم يقولـون آمنّـا بـه كـل مـن عنـد ربنـا ومـا يذكّر إلا أولوا الألباب " آل عمران، 7

قـال أهـل السـنة: إن المتشـابه لا يعلـم تأويلـه ومعنـاه الحقيقـي إلا الله، والراسـخون فـي العلـم: أي المتمكّنـون مـن العلـم يؤمنـون بالمتشـابه وأنـه حـق وصـدق، فـالمحكم مـا عـرف تأويلـه وفهـم معنـاه وتفسـيره، والمتشـابه مـا اسـتأثر الله تعـالى بعلمـه دون خلقـه ولـم يكـن لأحـد إلـى علمـه سـبيل، وقيـل إن المتشـابهات تتعلّـق بـالأمور الغيبيـة التـي لا يسـتطيع العقـل إدراكها.

أمـا الشـيعة فيـرون أن الراسـخين فـي العلـم يـدركون تأويـل هـذه المتشـابهات وهـم الأئمـة المعصـومين الـذين اسـتودعهم النبـي أسـرار الشريعة.

إن مـا وقعـت فيـه الشـيعة هـو الخلـط بـين الـدين الإلاهـي والفكـر البشري الذي جعلت له قدسية وجعلت لأصحابه عصمة وتأليها.

والنصـوص عنـد الشـيعة التـي تنقـل علـى ألسـنة أئمـة أهـل البيـت لهـا طبيعة قدسية وهي لا تقل أهمية عن الآيات والأحاديث.

ويظهـر التأويـل عنـد الشـيرازي مـن خـلال تفسـيره لـبعض الآيـات القرآنيـة والأحاديـث النبويـة التـي يبـين مـن خلالهـا عصـمة أئمـة أهـل البيـت التي هي جزء من العقيدة الشيعية.

وهكـذا يتبـين لنـا مـن خـلال التأويـل عنـد الشـيعة أن هنـاك فجـوة بـين الـنص القرآنـي والتأويـل البشـري الـذي جعلـت لـه قدسـية ومرجعيـة وبـذلك يتحول الفكر (التأويل) الديني إلى دين كامل.

وإن كـان الفكـر السياسـي الشـيعي قـد تطـور بعـد عصـر الغيبـة المتمـادي، فاهتـدوا اسـتنادا إلـى ضـرورات عقليـة إلـى سـد الفـراغ مـن خـلال نظريـة ولايـة الفقيـه والمراحـل التـي تطـورت خلالهـا حتـى أن بعضـهم أعلن تأييده للنظام الديمقراطي على أسس إسلامية.

ومعظـم الشـيعة المعاصـرين لا يعرفـون شـيئا عـن نظريـة الإمامـة سوى الحب والولاء لأهل البيت، وهو أمر يشترك فيه عامة المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، الاصول من الكافي - الجزء الثاني، د (ط ت).
- صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، شرح أصول الكافي، صححه: محمد خواجوي، الجزء:2، د ط، 2005، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران.
- صدر المتألهين محمد بن إبراهيم الشيرازي، تفسير القرآن الكريم سورة يس، د (ط، ت)، انتشارات بيدار، قم ايران.
- صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، شرح أصول الكافي، صححه: محمد خواجوي، الجزء:1، د ط، 2005، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران.

المراجع:

- السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ج: 2، 1990، مؤسسة النعمان بيروت، لبنان.
- أحمد كاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط: 5، 2007، الدار العربية للعلوم، بيروت،
- أحمد محمود صبحي، النظريات السياسية لدى الفرق الإسلامية، الكويت: مجلة عالم الفكر، المجلد 22 العدد 2 سنة 1993م.
- بن سالم حميش، التشكلات الأيديولوجية في الإسلام، تقديم: ماكسيم رودنسون، محمد عزيز الجبائي، ط: الأولى، 1993، دار المنتخب العربي، بيروت لبنان.
- حسين سعد، الأصولية الإسلامية العربية المعاصرة بين النص الثابت والواقع المتغير، ط: الثانية، 2006، بيروت.
- صالح الورداني، عقائد السنة وعقائد الشيعة .التقارب والتباعد، ط: الأولى، 1999م، مطبعة الغدير بيروت لبنان
- صلاح الدين شبيوني رسلان، الفكر السياسي عند الماوردي، د ط، 1985، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.

- صلاح شبيوني رسلان، الفكر السياسي عند الماوردي، د ط، 1985، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة.
- عبد الإله نبهان، التأويل الصوفي للنص ، د (ط.ت).
- عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، د (ط، ت)
- عبد الهادي الفضلي، تأريخ التشريع الإسلامي، د (ط، ت)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- عواطف العربي شنقارو، فتنة السلطة (الصراع ودوره في نشأة بعض غلاة الفرق الإسلامية، ط: الثانية،2001، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا.
- عواطف الكنوش المصطفى التميمي، المعنى والتأويل في النص القرآني، ط: الأولى،2010، دار الصفاء عمان.
- كمال الحيدري، أصول التفسير والتأويل، الجزء: 2، ط: 2، 2006، دار فراقد، إيران
- محمد علي الكبسي، نشأة الفكر السياسي عند العرب، ط: الثانية، 2007، دار الفكر دمشق.
- محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، ط: الرابعة، 1989، دار الشروق، القاهرة.
- مهدي فضل الله، الاجتهاد والمنطق الفقهي في الإسلام، ط: الأولى، 1987، دار الطليعة، بيروت لبنان.

المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، دار مكتبة الهلال، بيروت.
- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ،د.ط، 2007، دار قباء الحديثة القاهرة.
- يوسف الصديق، المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، د.ط،1976، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس.

الندوات والمجلات:

- نسرين الأحمد، ندوة فكرية "اشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا"
- مجلة المواقف، عدد خاص أفريل 2008، المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي معسكر.

- مجلة إسلامية المعرفة، السنة السادسة: العدد الرابع والعشرون

الرسائل والمذكرات:

- خالد سونامي، مذكرة ماجستير بعنوان " تأويل القرآن عند المعتزلة من خلال تفسير الكشاف للزمخشري "، جامعة مولود معمري-تيزي وزو.
- فاخر جاسم، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة، 2008.